

تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الإسلامية
<http://islamicfiles.net>

تزكية النفوس

صلى الله
عليه
وسلم

من مقاصد بعثة الرسول



islamicFiles.Net

بقلم

أ.د/مبروك عطية

الأستاذ في جامعة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذى خلق النفوس وسواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير من بهدى الله زكاهها ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم تجد فيه كل نفس ما لها ومثواها

وبعد

فقد أغرقنا الناس فى الخطاب الدينى المتصل بالعبادات ، وظهرت على الأفق اتجاهات وفضائيات ، تكاد تكون متخصصة فى هذا الإغراق ، فهناك من همه الأكبر حجاب المرأة وزينتها وحق زوجها عليها ، ومن همه الأكبر قيام الليل وفضله ، وختام القرآن وتلاوته ، وغاب الخطاب الدينى المتصل بتزكية النفوس وهو مقصد أساس من مقاصد البعثة النبوية الشريفة بدليل قول الله عز وجل فى سورة البقرة الآية ١٥١ : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ " ، وقد ورد قول الله تعالى : " ويزكيكم " على هذا الترتيب فى جميع الآيات ، مما يدل على أن " التزكية " من مقاصد البعثة النبوية الشريفة .

وغياب موضوع التزكية عن الخطاب الدينى يسهم بنصيب كبير فى تدهور أحوال الناس ، وتخلفهم عن روح الدين ، وأكبر دليل على ذلك أن قاتل ابنته من المصلين الذين اعتَمروا ، وربما حجوا بيت الله تعالى ، وما نراه من سلوكيات عجيبة وغريبة إنما هو من أثر غياب التزكية .

آن الأوان أن نشمر عن ساعد الجد في تبيان تلك التزكية التي ليست من الأمور المكملة للعبادات وإنما هي روح العبادات ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والكلمة الطيبة مما يثبت الله به الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمرأة التي وصفت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها كثيرة الصلاة كثيرة الصيام لكنها تؤذى جيرانها بلسانها قال فيها "هي في النار"

وقال في أخرى أقل منها عبادة لكنها لا تؤذى جيرانها : هي في الجنة .

وقد أعددت هذه الدراسة وبذلت فيها من استطعت من جهد ، فجعلت الفصل الأول وعنوانه (القرآن الكريم وتزكية النفوس) ، تناولت فيه منهج القرآن الكريم في تزكية النفوس ، من خلال الإسناد والحث والقصة والأوامر والنواهي .

وجعلت الفصل الثاني في (السنة النبوية وتهذيب النفوس) ذكرت فيه الصحيح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته المتصلة بتزكية النفوس .

وأما الفصل الثالث فقد جعلته في (تزكية النفوس بين الطاعات والمعاصي) ، لأبين أن هناك طاعات تتصل بتزكية النفوس ربما ظنها كثير من الناس ليست بطاعات ، ومن المهم أن يعلم الناس أنها دين ، وأن مخالفتها من المعاصي والله أسأل أن يتقبل هذا العمل وأن ينفع به ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أ.و. مبروك عطية

الفصل الأول
القرآن الكريم وتزكية النفوس

القرآن الكريم وتزكية النفوس

منهج القرآن الكريم في تزكية النفوس

١- الإسناد

المؤمنون هم الناس

إسناد الإيمان إلى الناس ، كما في قوله تعالى من سورة البقرة الآية ١٣ : " قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمِنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ "

أسند الله تعالى الإيمان إلى الناس ، والناس من الأنس ، تقول معاجم اللغة إن ضد الإنسى الوحشى ، والوحشى من الوحش والتوحش ، الذى لا يجيد معاشره الناس ، ولا معاملتهم ، إذا حضرهم نفروا منه ، وإذا غاب عنهم حمدوا الله على غيابه ، وإذا كان شوقى يقول : أنتم الناس أيها الشعراء ، فإننا نقول : أنتم الناس أيها المؤمنون

في السفر قال النبی صلى الله عليه وسلم : من ينشدنا ؟ فلم يعدم منشدا ، وقال : من رجل يذبح لنا ؟ فوجد ، وقال : من يضيف ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوجد من الأنصار من قال : أنا ، وقصته طريفة ونزل فيها قرآن

وقال : من رجل ينظر لى سعد بن الربيع ؟ فوجد من يقول : أنا .

ونحن اليوم في حاجة إلى أن نجد من يبنى المدارس والمستشفيات ، والمعاهد والمصانع من أجل القضاء على البطالة ، من أجل الناس

والله عز وجل يقول في سورة البقرة الآية ١٤٣ : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ " أى بالمؤمنين ، فالمؤمنون هم الناس .

وجميع آيات الحج في القرآن الكريم جاءت بلفظ الناس ، قال تعالى في سورة الحج الآية ٢٧ : " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ " ، وفي سورة آل عمران الآية ٩٧ : " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ،

وفي سورة البقرة الآية ١٩٩ : " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ " وأسند الله تعالى الوجاهة إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، قال عز من قائل في سورة آل عمران الآية ٤٥ : " إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ " .

وقد لاحظت علاقة طيبة عجيبة بين الوجاهة وبين القرب من الله عز وجل ، فالله عز وجل يقول : " وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ " وقال في موسى - عليه السلام - في آية مريم ٥٢ : " وَتَدَيِّنُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ﴿٥٢﴾ " ، وأسند إليه الوجاهة في آية الأحزاب ٦٩

: "يَنَاطُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا" (٢١) وذلك لا يكون من باب المصادفة .

وتزكية النفوس تشمل المظهر والجوهر ، الشكل والمعنى ، والرجل الوجيه أعجب الناس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، وعكسه قالوا فيه عكس ما قالوا في الوجيه ، وبين لهم ولنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الثاني يعدل ملء الأرض من الأول . رواه البخاري .

وهذا يدل على أن الأول وجيه شكل فحسب ، ولو كان وجيه شكل ومعنى لكان من المقربين ، نعم تقرب إلى الله تعالى بالوجهة ليكون لك شكل طيب ، فأنت تتبع أجمل إنسان في الوجود محمد - صلى الله عليه وسلم - ، أطيّب الطيب طيبه ، وأطيّب الثياب ثوبه ، وأرق يد يده ، قال أنس : أنعم من الحرير ، ما شوهده صلى الله عليه وسلم إلا مبتسما ، وكان خلقه القرآن ، وسوف يأتي من أساليب الذكر الحكيم في تزكية النفوس من الأوامر والنواهي ما يوضح أنه صلى الله عليه وسلم قد ائتمر بكل أمر وانتهى عن كل نهى قبل جميع المسلمين

مكانة من تزكى

والقرآن الكريم يعرض فيما يعرض مكانة من تزكى ، ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٢١ : "وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ

وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(٢١)

واقرا عتاب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن ابن أم مكتوم ، وهو رجل أعمى حيث قال عز وجل في صدر سورة عبس : "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّىٰ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۚ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّىٰ ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّىٰ ۚ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۚ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۚ فَإِنَّ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۚ"

وتأمل قوله تعالى : "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّىٰ" ، إن الساعى إليك ليعرف الدين ساع إلى الزكاة أى الطهارة والنقاء ، فهو أولى أن توليه اهتمامك إننى أذكر بهذه القصة كثيرا من الشباب والمهوسين بشباب لاصلة لهم بالله عز وجل ولا بتزكية النفوس يؤثرونهم على شباب صالحين جادين يريدون أن يفتحوا البيوت بالحلال ، لكن النزعة الذاتية والإعجاب الطائش يدفعان بهؤلاء إلى الخلل في الاختيار .

ولله در عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما وقد أعطى شاعرا أسود عطاء كثيرا تعجب له الناس ، وقالوا : أعطى هذا الأسود كل هذا ؟ ، فقال رضى الله عنه : "إن كان أسود فشعره أبيض ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وهل

أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى ، وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى " الاستيعاب ١٨/٣

فقل : إن كانت هذه الفتاة سوداء فدينها أبيض ، والدين أعز من الشعر وأبقى ، وقولى : إن كان هذا الخاطب أسود فدينه أبيض ، لا بد من النظر إلى ما لا ينظر إليه .

وفي حديث البخازى : " رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره "

وقد روى الطبرانى فى الكبير ، وأحمد ، وابن أبى شيبه عن على كرم الله تعالى وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة ، فيأتيه بشيء منها ، فنظر أصحابه إلى خموشة ساقيه ؛ فضحكوا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما يضحكمكم ؟ لرجلا عبد الله فى الميزان أثقل من أحد .

ما كان من العين فمن الله والرحمة
وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان

للزكى من الناس لغة مشاعر ، هى الدمع ، لا لغة عدوان بيد ولا بلسان ، دليل ذلك قول الله تعالى فى سورة التوبة ٩٢ : " وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ " ﴿١٢﴾

وروى أحمد والحاكم وابن عبد البر فى الاستيعاب (١٦٧/٣) أن عمر بنى النساء أن يبيكين على عثمان بن مظعون ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عمر ، ثم قال : إياكن ونعيق الشيطان ، فما كان من العين فمن الله تعالى ، ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان "

أزكى طعاما

والقرآن الكريم يذكر لنا نأ أهل الكهف ، ومن ذلك لما بعثهم الله عز وجل ، وأخذوا يتساءلون عما لبثوا ، ثم قال قائل منهم : ابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه ، قال تعالى فى سورة الكهف الآية ١٩ : " وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ ۖ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ۖ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا "

قال الفتى المؤمن : فلينظر أيها أزكى طعاما ، وفى " أزكى " أقوال ذكرها العلماء ، تجتمع عند معنيين الحلال والطيب ، أى لا يأتكم بطعام من لصوص غاصبين ، ولا يأتكم بلحم خنزير أو طعام فاسد ، وقبل ذلك كله : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ، أى بأموال كانت معهم من كسبهم الحلال ، فانظر كيف فروا بدينهم ، ومعهم زادهم وأموالهم ، فإن ذلك لا يتنافى والتوكل على الله تعالى الذى خرجوا فى سبيله .

زكى النفس إذن يعرف معنى التوكل ، ويعول عليه لا على التواكل ، وزكى النفس لا يغتصب أموال الناس ، ولا يأكل من حرام ، ولا يأكل كذلك أى أكل ، وإنما يأكل أجود الأطعمة وأعلاها وأنقاها وأطهرها فماذا نقول لمن يأكلون من حرام ، ويسكنون فى بيوت مغتصبة ، توسعوا فيها وظنوها ملكا لهم !

كيف يتزكى إنسان مأكله حرام ، ومسكنه حرام ؟

ثم يقول الله تعالى : "وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا" ، التلطف : تجنب الخصومة فى المعاملة ، ونحن فى حاجة إلى تعليم الأجيال درس التلطف فى المعاملة ، لأن شبابنا إلا من رحمه الله (شائط) كما يقولون ، من شاط يشيط ، كلمة فى كلمة ، ثم يعلو الصراخ وتسيل الدماء ، نحن فى حاجة جميعا إلى هذا التلطف ، إلى السماحة : "رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى"

وقوله عز وجل "إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا" ، من أهم القضايا التى تحثنا على طلب الظهور والغلبة فى شتى الميادين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأديبا فى جميع مناحى الحياة والإبداع ، لأن المسلمين إذا ظهروا رحوا ، وإذا ظهر عليهم غيرهم فلن يرحمهم ، جواز الأكل بين الناس بالشركة

ومن قضايا تزكية النفوس ما استنبطه الفقهاء من أكل أهل الكهف بالشركة وإن تفاوتوا فى الأكل ، يعنى لا بأس أن يشترك جماعة فى طعام ، فيدفع كل

منهم مبلغا معينا بالتساوى ، ويأكلوا منه جميعا ، وقد يأكل بعضهم أكثر من بعض .

وهنا مشكلة بل مأساة ، فى بعض العمارات ساكن يسكن وحده ، وجاره يسكن هو وزوجته وأولاده ، وفاتورة المياه تأتى مبلغا معينا يقسم على جميع الساكنين أو الملاك بالتساوى فيقول من يسكن وحده : أنا لا أستعمل من الماء ما يستعملون ، حرام ، ظلم ، أنا أركب عدادا وحدى ، وتنشأ خصومات بين الجيران ، ومشكلات تنغص الحياة

وقد تجد إنسانا يغلق شقته ، ولا يأتياها إلا قليلا ، فإن طالبه أحد بما عليه من قيمة استهلاك المياه ، صاح وقال : أنا غير مقيم ، ونحن هنا أمام خيارين ، إما أن يراعى السكان الدائمون ذلك ، ويرحموا أخاهم الذى لا يستهلك ما يستهلكون وإما أن يشترك معهم من هذا الباب ، ليبقى الود ، وتبقى الرحمة ، وحسن المعاشرة بين الناس .

اختراعات من لابسى زى المشايخ

ليس من التزكية الافتراء والكذب ، روى البخارى ومسلم وغيرهما : "من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" وقد نسب إلى ابن عباس أن أسماء أصحاب الكهف : مكسلمنيا ، ويمليخا ، ومرطوس ، وثبيونس ، ودردونس ، وكناشيطيطوس ، ومنطنواسيس ، وهو الراعى

تصلح للطلب ، والهرب ، وإطفاء الحرائق ، تكتب في خرقة ، ويرمى بها في النار ، ولبكاء الطفل تكتب ، وتوضع تحت رأسه في المهد ، وللحرث تكتب على قرطاس ، ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع ، وللحمى والصداع ، والغنى ، والجاء ، والدخول على السلاطين ، ولعسر الولادة ، ولحفظ المال

قال الآلوسی : "ولا يصح ذلك عن ابن عباس ولا عن غيره من السلف الصالح ، ولعله شيء افتراه المتزيون بزى المشايخ لأخذ الدراهم من النساء ، وسخفة العقول" روح المعاني ١٠ / ٣٤٢

وقد ذكر أن إسناد هذه الأسماء إليهم ذكر بسند ضعيف ، فقد حكى الشاعر المعروف أحمد فؤاد نجم أنه عندما كان في كتاب القرية طفلاً يحفظ القرآن سمع من الشيخ المحفظ أن اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهف (قطمير) ، وأن كلباً مفترساً لو هجم عليك وصحت في وجهه (قطمير) تحول إلى قطة ولم يضرک ، وكان في طريق الكتاب بستان لأحد الأغنياء أراد الأطفال أن يأكلوا من ثمره لكن منعهم كلب حراسة كالأسد ، فخافوا ، ولكن تشجع البطل أحمد فؤاد ودخل البستان ، وقام الكلب بمهمته خير قيام ، مع سماعه من أحمد (قطمير) عشرات المرات .

ولو سمعت القصة من الشاعر لوقعت مغشياً عليك من الضحك ، وهو يقول للكلب في كل غصة تركت أثرها فيه إلى اليوم : أقول لك (قطمير .. قطمير) ، ولولا أن تداركه الله بالحراس الذين أنقذوه لقتله الكلب .

وما زلنا نردد (قطمير) ، و(حابس حابس) وغيرها مما لم يحبس عنا شراً ، ولم يدفع عنا أذى .

لقد ورد أن أسماء أهل الكهف تعالج الطفل الباكي الصارخ أما سمعنا الحديث الصحيح الذي ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى الصلاة وفي نيته أن يطيل فيها ، فإذا دخل في الصلاة التي نوى أن يطيل فيها سمع بكاء صبي ، فتجوز ، أي اختصر ولم يطول رحمة بأمه وبه ، يعني حتى تدرك ابنها وترضعه ويسكت .

إن لدينا أمهات من الشابات لا يتحملن بكاء أطفالهن ، لا يحسن معاملتهن ، تود الواحدة منهن مثل هذا العلاج الخرافي .

ولله در الآلوسی الذي قال : "إن الذين يلبسون زى المشايخ يحصلون بتلك الخرافات على الدراهم من النساء وسخفة العقول ، فإلى متى ؟"

وإذا كانت هذه الأسماء صالحة لذلك أما كان أسهل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر بكتابتها وتركها تحت رؤوس الأطفال ، ولو قبل الصلاة حتى يطيل بالناس الصلاة ، ولا تحرم الأمهات بركة هذا التطويل وراء النبي صلى الله عليه وسلم

وإذا كانت مفيدة للغنى فما داعى العمل ، وإذا كانت مفيدة للدخول على السلاطين ، فما داعى الأدب !

وإذا كانت مفيدة للحرث فما داعى معالجة الأرض ، وإذا كانت مفيدة لإطفاء الحرائق فما داعى أجهزة المطافي

ليس من تزكية الناس أن تنتشر فيهم الخرافات ، وإنما من صلب تزكيتهم أن يتعلموا اليقين ، وأن يأخذوا بالأسباب ، وأن يقفوا على ما وراء القصة القرآنية من دروس وعبر ، لا أن يخرجوا منها بخرافة .

قصص من تزكى

ومن أساليب القرآن الكريم في تبين تزكية النفوس القصص القرآني ، والقصة تميل إليها النفوس ، الحكاية ، والحدث ، والمواقف ، والحوار ، والعقدة ، والحل ، الخاتمة ، فيها تشويق .

والناس اليوم يتابعون المسلسلات ، والأفلام ، من أجل ذلك ، ولكن قصص القرآن أحسن القصص ، وللقصة في كتاب الله عز وجل مغزى ، وبعد ، يدركه أولو الأبواب ، أما غيرهم فقد رأينا أنهم خرجوا من قصة أصحاب الكهف بما رأينا من خرافة ، أو يحملون القصة ما لا تحتل من إسرئيليات موضوعة كاذبة ، أو يقفون عند ما لم يذكر ، كأن يقول لك قائل : ما اسم أم موسى ؟ ، ومن تزوج ؟ ، ها تزوج التي جاءت تمشي على استحياء أم تزوج الأخرى ، ونحو ذلك مما لا يفيد

وخير لنا أن نقف عند دروس مستفادة من قصة كليم الله - عز وجل - موسى عليه السلام :

١- أنه وفي بالعهد وقضى أتم المدة كما قال ابن عباس في قوله تعالى : "عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ" .

القصص (٢٧) ، وقال تعالى بعدها : " فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ

وَسَارَ بِأَهْلِهِ " القصص (٢٩)

ما سار موسى بأهله إلا بعد أن قضى الأجل ، ألا يوجد من يتفق اتفاقات عند زواجه ثم يخل بها من أول يوم ، أو من أول شهر ! ألا يوجد من يقول لحميه : أعدك يا عمي أن أعاملها معاملة حسنة وأن أتقى الله فيها ، وما كان منه من حسن ولا تقوى ، فما أثر " فلما قضى موسى الأجل في حياتنا "

٢- ومن قصة الكليم الآية (٢٨) من سورة القصص ، حيث يقول أبو الفتاة : " وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

الصَّالِحِينَ " إضافة جديدة لمعنى الإصلاح الغائب عنا ، كدنا نفهم الإصلاح شكلا وأداء للعبادات ، وما سمعنا أحدا يقول : فلان

من الصالحين لأنه لا يشق على عماله
وفلان من الصالحين لأنه لا يشق على زوجته
وفلان من الصالحين لأنه لا يشق على ولده

وفلان من الصالحين لأنه لا يشق على جاره

٣- ومن دروس القصة قول موسى عليه السلام كما جاء في سورة

القصص الآية (١٦) : " قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " ، يأيها السادة انظروا إلى من غفر الله

تعالى له ماذا قال ، قال : رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي ، وانظروا إلى كثير من الناس الذين لا يعرفون الاعتراف بالخطأ ، وهم دون نبي الله موسى عليه السلام ،

من صدم أخاه بسيارته : لا يعترف

من أخطأ في حق أبيه : لا يعترف

من أخطأ في حق ابنه : لا يعترف

من أخطأ في حق زوجته : لا يعترف

وليس هذا من تزكية النفوس ، وإنما هو دليل حمق ورعونة .

إننا أتباع خير خلق الله - صلى الله عليه وسلم - قال للرجل : لعل أوجعتك ، وأعطاه ثمانين شاة .

وتقرأ في قصة موسى عليه السلام : " رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له "

٤- ومن الدروس المستفادة في تزكية النفوس من قصة كليم الله موسى عليه السلام القيام بما تمليه المروءة دون إسفاف ، قال تعالى في سورة القصص الآيات (٢٣ - ٢٤) : " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ "

وقد بينت الآيتان لنا ما كان من مروءة موسى عليه السلام دون أدنى حوار مع الفتاتين ، وأنه توجه بعدها إلى الظل وسأل ربه الخير وقد آتاه ، ولعلنا نجد خلاف ذلك مع كثير من الناس ، ومن صورته :

- ألا يفعل المعروف إلا مع الحسنة خصوصاً اللعوب ، فقل أن ترى

رجلاً يفعل المعروف مع دميمة أو عجوز

- وأن تتواتر جمل الحوار والتعارف وغير ذلك اتباعاً للهوى

- انعقاد النية على السوء قبل فعل الخير ، فهي وسيلة عند أهل

الخبث للسوء

٥- ومن تلك الدروس ما جاء في سورة الأعراف الآيتين (١٥٠ -

١٥١) : " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ بَشَرْنَا خَلْفَتُنِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَالْقَىٰ الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ "

قال هارون لأخيه - عليهما السلام - : "لا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين" ، فما كان منه عليه السلام إلا أن قال : "رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين"

وكم فينا من يعتذر لأخيه وأخوه لا يقبل اعتذاره ، وكم فينا من نادم ولكن أحدا لا يرحمه ، والدين يدعو إلى تزكية النفوس فى هذا المجال ، أن تقبل عذر أخيك وألا تشمت به الأعداء وألا تنصر الشيطان عليه .

دروس من قصص يوسف عليه السلام

ومن القصص الواردة فى أحسن القصص قصة يوسف عليه السلام ، ونحن نقف على دروس تزكية النفس فيها من عدة جهات أهمها :

١- أنه عليه السلام مكن الله له فى الأرض حيث سكن بيت عزيز مصر ، وأكرم الرجل مثواه ، فلما شغفت امرأته به حبا وغلقت الأبواب ، وراودته عن نفسه قال : "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" يوسف : ٢٣

درس الوفاء لمن أحسن إلينا ، وأكرمنا ، نحن فى حاجة إليه اليوم أكثر من أيام سبقت ، فنحن نرى أخا يخون أخاه فى زوجته ، بل رأينا ابنا يقتل أباه ليتزوج بامرأته غير عالم بأن امرأة أبيه محرمة عليه كأمه أبدا ، يتزوج الإنسان امرأة أخيه إن طلقها أو مات عنها ، وامرأة عمه وامرأة خاله ، وامرأة صاحبه ، ولكنه لا يتزوج امرأة أبيه ، وشاركته الزوجة

الشابة وقد أحسن إليها أبوه من قبل ، والمسافر من أجل رزقه باتى بالهدايا والتحف لأخ أو جار وهما بعنديان على زوجته ، العامل الذى جاء عاريا خافيا فأكرمه رجل وأسكنه وأطعمه ، وطمع فى ابنته أو زوجته .

وطالب العلم الذى قدم من قريته لا مسكن له فى المدينة التى فيها جامعته وآواه قريب له أو غيره ، فكان أن خانته مع زوجته ، صور متعددة للخيانة لمن أحسن لانت إلى تزكية النفوس بصلة .

٢- وهو عليه السلام بدعو صاحبيه فى السجن إلى الله والآيات خمس

(٣٧-٤١) ، مع الأسف طرحنا أربعا وعلقنا على واحدة ، انظر :

" قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْفَيْنِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِنَاوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِىَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدِحِّى السِّجْنُ ۖ أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ۚ خَيْرٌ أَمْرُ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الَّذِىُنَ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ يَنْصَحِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا
وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي
فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿١١﴾

تركنا الدعوة إلى التوحيد ، وبيان فضل الله على الموحدين ، وتمسكنا بتفسير المنام ، وكأن نبي
الله يوسف عليه السلام متخصص في تفسير الرؤى ، إذا ذكرت ذكر وإذا ذكر ذكرت ، وهي
بعض فضل الله عليه

٣- ومن المناحي الغائبة في قصة يوسف عليه السلام أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال :

رحم الله أخى يوسف لو كنت مكانه لأجبت الداعى

يشيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره على السجن ورغبته في الخروج منه مرفوع الرأس
إذ جاءت له الفرصة للخروج فقال للداعى : "وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِنِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ
الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعَنَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" ﴿٥٠﴾ يوسف : ٥٠ ، وقد كان : "قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَفَّ حَصْحَصَ الْحَقُّ
أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾

وهناك قضية أخرى من قضايا تزكية النفوس والواردة في الآية ٥٢ :

"ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِبِينَ"

إن كان من كلام يوسف فهو ما خان العزيز في غيابه ، وإن كان من كلام امرأة
العزيز فهي ما قالت وهو غائب في حرمة ما يشين ، قالت : أنا راودته عن
نفسه وإنه لمن الصادقين ، وعلى كل حال ما أكثر من يخونون بالغيب بالقول
والفعل ، وليس ذلك من تزكية النفوس .

٤- ومن دروس تزكية النفوس في قصة يوسف عليه السلام أنه قال

للملك في الآية ٥٥ : "قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

عَلِيمٌ" ، ما قال : أنا عالم بالرؤى ، وإنما قال إنى حفيظ أحفظ ولا

أضيع ، وعليم أى ذو علم بوجوه التصرف فيها كما قال الألوسى

(٢٤٧/٨)

وقد استنبط العلماء من ذلك جواز مدح الإنسان نفسه إذا جهل أمره ،

وجواز طلب الولاية ممن يقدر على العدل وإجراء أحكام الشريعة .

اعتراض :

وفي رواية أن امرأة العزيز تعرضت له في الطريق فقالت ما قالت فتزوجها

فوجدها بكرا ، وشاع عند القصاص أنها عادت شابة بكرا ، إكراما له عليه

السلام بعد أن كانت ثيبا غير شابة ، قال الألوسى (٢٤٦/٨) : وهذا مما لا

أصل له وخبر تزوجها أيضا مما لا يعول عليه عند المحدثين .

٥- ومن أهم دروس التزكية أنه عليه السلام قال لإخوته عندما عرفوه

وقالوا له : "قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا

لَخَطِئِينَ ﴿١١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

بعد كل ما فعلوه به عليه السلام قال : لا تأنيب ولا لوم ، ونحن اليوم في حاجة إلى هذا الدرس من دروس التزكية

٦- ومن تلك الدروس ما جاء في الآية ١٠٠ حيث قال تعالى :
"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"

فانظر كيف تحدث عن فضل الله عليه إذ أخرجه من السجن ولم يذكر لأبيه قصة دخوله مظلوما .

نحن في هذه الأيام عرفنا كيف نحزن ، وكيف إذا التقينا أن نستدعي أسباب الغم ، منذ تركتك يا أبت لقيت الأهوال ، والصعاب ، على نحو :
"حين تأتي سوف أحكى لك ما جرى ، وامسح دموعي بمندليك "

يعنى أستعد لحكايات المآسى ، ونحو ذلك مما هو شائع "أقول لك ماذا أو ماذا أو ماذا " ألا نحسن استدعاء الخير عندما نلتقى !

من قصة إبراهيم عليه السلام

ولعلنا نوفق إذا تعرضنا لدروس التزكية في ضوء قصة إبراهيم عليه السلام من هذه الوجوه :

١- سؤاله الله عز وجل أن يجعل البلد كله آمنا : "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا" ، وليس على منوال الشخصية الرمزية "جحا" ما دام الخطر بعيد عن بيتي فلتحترق كل البيوت .

٢- وقوله عليه السلام : "فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" وليس على منوال : من تبعنا فإنه منا ومن عصانا أو خالفنا فإنه عدونا .

٣- وفي حوارهِ مع أبيه في سورة مريم : "يا أبت ... يا أبت ... يا أبت" مع ما فيه من أدب جم إلى أن هدده أبوه ، فقال له : "قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" مريم : ٤٧

٤- وقوله عليه السلام لابنه : "إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى" الصافات : ١٠٢

إنه بلا شك فاعل ما أمره الله به ، ولكنها التهئية ، تلك التهئية الغائبة عنا في هذه الأيام ، قل أن نجد أحدا يقول لأحد : فانظر ماذا ترى ، وكثر أن تسمع : هكذا ، أو افعل ، أو اعمل ، أو احذر أن تقول لا .

٥- ومن دروس التزكية هنا وفي قصة زكريا كذلك قول إبراهيم في سورة الصافات: ١٠٠: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ"، وقول زكريا في سورة آل عمران: ٣٨: "هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ"

منهج أهل التزكية سؤال الله تعالى الذرية الطيبة لا يسألون أى ذرية أو ظفر عيل ، إنما يسألون الذرية الزكية التى ترث العلم .

هل تخاف الله رب العالمين ؟

ومن دروس التزكية فى قصة ابنى آدم أنه قال لأخيه الذى قال له لأقتلك : "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" المائدة : ٢٨

- فهذا تخاف الله رب العالمين بالآ تقتل أخاك

- والآن تحرمه حقه من ميراث أبيه وأمه

- والآن تحرم أختك من ميراثها كذلك

- والآن تخونه فى زوجته وماله

- هل أنت تخاف الله رب العالمين من زاوية تزكية النفوس فلا تؤذى أحدا بلسان ولا بفعل .

ومن دروس قصة أيوب

مدحه الله عز وجل فقال فيه : "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"

س : ٤٤

و"نعم" أم باب المدح ، وإذا قال الله عز وجل فى عبد من عباده "نعم العبد" فقد وصل الغاية وحقق النهاية من الدرجات العلا ، قال أيوب : "مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" الأنبياء : ٨٣
وأيوب إذ نادى ربه

١- زكى النفس يعلم أن له ربا يدبر الأمر ، وأنه ليس وحده فى هذه الحياة
٢- وزكى النفس إذا مسه الضر صبر ، وخبيثها يملأ الأرض شكوى وضجرا

٣- وزكى النفس يتلطف فى الدعاء ، ألا ترى إلى قول أيوب : "وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" يعنى ارحمنى ، لكنه أثر الشناء على الله تعالى فجمع بين الذكر والدعاء

ومن ذلك أن امرأة شكت إلى قيس بن سعد بن عبادة قلة النار فى بيتها ، فقال : املأوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً

وقد استجاب الله عز وجل دعاء عبده أيوب ، فكشف ما به من ضر وآتاه أهله ومثلهم معهم

إن الدعاء فى حاجة إلى فقه ، ومن فقه الدعاء هذا التلطف الذى يشتمل على أدب مع الله عز وجل يدل على إيمان الداعى بأن الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء

وقد رأينا كثيرا من الناس لا يفقهون هذا الجانب فهم يذكرون نحو : ولدى عاجز ، وعينى لا أرى بها ، وجنبى يقرص على ، وزوجتى مريضة عليه بها داء كذا وكذا وهكذا

وقد تعلمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدب الجم في كل شيء ، وفي الدعاء خاصة ، فهو صلى الله عليه وسلم يوم الطائف لم يقل صعدت إليهم ، وتعبت من المسير ، وسلطوا على سفهاءهم وأطفالهم ، ورموني بالحجارة وهذا الدم لا يخفى عليك وإنما قال : "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس "

من قصة مريم

أهم ما يخرج به المتدبر في قصة مريم عليها السلام أن أهم درس من دروس التزكية أنها أحصنت فرجها ، درس للشباب ، الشابة أحصنت فرجها بعفتها وطهارتها ، قال الله تعالى في سورة التحريم الآية ١٢ : "وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ" (١٢)

عرف الفقه الإسلامي الزواج حصناً ، فالزوج يحصن زوجته ، كما أن الزوجة تحصن زوجها ، وعقاب الزاني المحصن معروف ، وهو الرجم ، وغيره أي غير المتزوج مائة جلدة باتفاق ، وتغريب عام على الخلاف المشهور .

والشاهد أن الزواج حصن ، فمن تحصن بلا زواج ؟ إنها مريم عليها السلام ، التي جعلها الله عز وجل مثلاً للذين آمنوا ، هي وامرأة فرعون التي قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

وتلك امرأة كانت تسكن القصور ، وتعيش الملك ، لكنها رغبت فيما عند الله عز وجل ، وسألته أن يبنى لها بيتاً في الجنة مؤمنة بأن ما عند الله خير وأبقى

من قصة لوط عليه السلام

ومعروف أن زكى النفس لا يأتي الرجال شهوة من دون النساء ، أى لا يعرف الشذوذ ، ولا يبدل خلق الله عز وجل ، قال تعالى في سورة النمل الآيات (٥٤-٥٩) : "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ۖ أَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ لُوطُ مِنْ قَرِينِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٩﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ ءَآلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾"

لقد بينت الآيات عاقبة قوم لوط ، وتكررت القصة وتكرارها يدل على قصد توكيدها في الأذهان وبيان بشاعة الذين رغبوا في النجاسة وبين أيديهم الأطهر ، وأن الله عز وجل دمر عليهم وصحبهم بعذاب مستقر

الأمر بما يتصل بتزكية النفوس

ونحن نقف على مجموع الأوامر القرآنية المتصلة بتزكية النفوس في القرآن الكريم ، على هذا النحو :

- ١- في فاتحة الكتاب الآية (٦) : "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" طلب ، بدأ به الكتاب العزيز ، ومن الصراط المستقيم تزكية النفوس .
- ٢- وفي سورة البقرة الآية (٤٠) : "يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ" ، والأمر بذكر النعمة والتحدث بها من تزكية النفس والتعفف من تزكية النفس ، يحسب الجاهل فقير المسلمين غنيا من التعفف

٣- وفيها (٤٠) : "وَأَوْفُوا بِعَهْدِيْ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ"

- ٤- وفيها (٤٥) : "وَأَسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ" على كل أمر شديد يستعين مهذب النفس بضبط النفس ، شتان بين نفس عند المصائب تهب أعاصيرها فتلقى بالأدران على كل طريق ، وبين نفس علمها الدين كظم الألم ، والاستعانة بالصبر ، وهى فى الوقت نفسه تتعرض لبشرى من الله القائل : "وبشر الصابرين" ، وزكى النفس إذا حزبه أمر (أى اشتد به) صلى ، وتلك سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، أما الأرعن فهو ذلك الذى ربما ترك الصلاة إذا أصابه شىء

- ٥- وفيها الآية (٨٣) : " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " ، من أهم المبادئ التى زكى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس برسالته القول الحسن ، إلى درجة أنه صلى الله عليه وسلم غضب حين سمع قولاً قاسياً قاله أحد الصحابة لبعض الأعراب قال له : أفحشت على الرجل . إن الإسلام دين الكلمة الطيبة مع كل الناس .

- ٦- وفيها الآية (١٢٥) : "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" ،

وإبراهيم نحن مأمورون باتباع ملته ، وهو عليه السلام الذى سمانا المسلمين ، وهو أول من قال حسبى الله عندما ألقوه فى النار ، وقد خاطب أباه بآيات من الأدب حتى قال له أبوه لأرجنك فودعه قائلاً : سلام عليك سأستغفر لك ربى كما جاء فى آيات سورة مريم .

- ٧- وفيها (١٢٥) : "طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ"

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" ، الأمر بطهارة بيوت الله خصوصاً أول بيت وضع للناس مما يتصل بتزكية النفوس ، لما فيه من تعظيم تلك البيوت ، وقد روى البخارى وغيره أن امرأة كانت تنظف مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وماتت فصلى عليها بعد دفنها .

- ٨- وفيها الآية (١٣٦) : " قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "

من التزكية بمكان أن تقرأ هذه الآية وأن تستوعب الدرس العظيم الكامن فيها وأن تقرأ أختها فى آل عمران (٨٤) : " قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " لنعلم أننا لسنا في مباراة تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على إخوانه ، وقد ثبت في البخارى وغيره قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تفضلوني على موسى " ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " رحم الله أخى موسى ابتلى بأكثر من هذا فصبر " ، وقوله صلى الله عليه وسلم في يونس عليه السلام : هو نبى وأنا نبى

إن الله يفضل من يشاء على من يشاء ونحن نقول : لا نفرق بين أحد منهم ٩ - وفيها الآية (١٤٨) : " فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ " إن النفوس

الزكية تتسابق في الخيرات لا في الشر والمكائد والقنابل ١٠ - وفيها الآية (١٥٢) : " فَادْكُرُونِي أذكركم وأشكروا لى ولا تكفروا " .

١١ - وفيها الآية (١٥٣) : " يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " مرة أخرى يأتى الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة .

١٢ - وفيها الآية (١٧٠) : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَارٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " زكى النفس من يتبع ما أنزل الله وخبيثها من تأخذه العزة بالإثم ، فيتبع عادات آبائه وأجداده ، قال جد سعيد بن المسيب وكان اسمه (حزن) فسماه النبى صلى الله عليه وسلم

(سهل) لا أغير اسما سمانيه أبى ، قال سعيد : فما زالت فينا حزونة أى شدة بسبب ذلك .

١٣ - وفيها الآية (١٧٢) : " يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " أمر بأكل الطيبات لا الخبائث ، وقرن ذلك بالشكر ، وهذا منهج من تزكى ، أما غيره فيأكل ولا يشكر .

١٤ - وفيها (١٨٩) : " وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ، وقد حمل العامة " وأتوا البيوت من أبوابها " على عدم اللف والدوران ، وقد كان الناس في الجاهلية يزعمون أنهم عند إحرامهم لا يصح أن يأتوا البيوت من أبوابها ، ضرب من ضروب البدع التى أبطلها الشرع وما زال فى زماننا منها الكثير كالقادم من قبر لا يدخل على عروس ، فإنها بهذا الدخول لا تحمل ، وكالذى حلق ، لا يدخل كذلك عليها ولا على حديثة الولادة ، أمور كثيرة لا أصل لها فى الدين .

١٥ - وفيها الآية (١٩٥) : " وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " الأمر بالإحسان من تزكية النفوس ، فالنفس الزكية لا تعرف الإساءة

١٦ - وفيها الآية (١٩٧) : " وَتَرَوُودُوا " قال العلماء : كان جماعة من اليمن لا يتزودون إذا خرجوا للحج ، يقولون : نحن المتوكلون فإذا جاعوا مدوا أيديهم فنزلت .

ومن قديم قالت العرب : أن ترد الماء بهاء أكيس ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزود عند سفره ، وفي حجة الوداع حمل زاده معه أبوبكر رضى الله عنه على زاملة (ناقة) واحدة .

١٧- وفيها الآية (١٩٩) : " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ " من تزكية النفوس أن يتواضع الناس ، فمن تواضع لله رفعه ، والنبي صلى الله عليه وسلم من الناس ، يحب الناس ويخالطهم .

١٨- وفيها الآية (٢٠١) : " وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ، وقد روى في الصحيح أن ذلك كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الدنيا عند الأسوياء ليست ملعونة ولا منبوذة والسوى من سأل الله تعالى حسن الدارين لأن الله عز وجل لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

١٩- وفيها (٢٠٨) : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ " الأمر بالدخول في السلم من تزكية النفوس ، لقد سجل التاريخ حروب الجاهلية التي قامت لأدنى ملابسة واستمرت عقوداً من الزمن ، فكيف يتسنى العيش في وطأة النار والدم والغیظ وميراث الثأر

٢٠- وفيها (٢٢٢) : " فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ " أمر باعتزال الناس في المحيض لأنه أذى ، وليس من تزكية النفوس أن تتعرض للأذى

٢١- وفيها (٢٣١) : " وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ " يتكرر الأمر بذكر نعمة الله عز وجل

٢٢- وفيها (٢٣٦) : " وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْوَسْعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ " أمر بمتعة المطلقة جبراً للفراق ، وهو أمر يتهرب منه من لا زكاة في نفسه ، الرجل الأرعن الذي يعد ظلم المرأة نوع انتصار ، ويعتبره ضرباً من ضروب الفخار ، وهو - لو علم - عار

٢٣- وفيها الآية (٢٧٨) : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " أمر بترك الربا ، والربا ملعون آكله وموكله وشاهده وكاتبه ، وهو ظلم .

٢٤- وفيها الآية (٢٨٣) : " فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ " الأمر بأداء الأمانة من تزكية النفوس

٢٥- وفي سورة آل عمران الآية (٣١) : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " الآية الآيات في تزكية النفوس اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله در أبى بكر القائل : إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، والله در مكحول - رحمه الله - القائل : لئن نخر أبو بكر من فوق جبل أهون عليه من أن يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد أغرقنا الناس في الحديث عن اتباع سنته صلى الله عليه وسلم في العبادة ، وهذا مطلوب بلا شك ، ولكن علينا أن نعلم أنفسنا والناس اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياق تزكية النفس ، وتخليصها من أدرانها ، فخير نفس زكاها باريها عز وجل نفس محمد صلى الله عليه وسلم قال اليهودي : السام عليكم ، فرد عليه الصلاة والسلام : وعليكم ، فلما قالت عائشة رضي الله عنها : أما سمعت قوله ؟ ، أى أنه قال : السام ، ومعناه الهلاك ، فقال لها : أما سمعت قولي له : وعليكم .

إنه صاحب النفس الزكية الذي لم يجعل من الحبة قبة ، ولا يتصيد للناس خطأ . وهو صلى الله عليه وسلم الذي يحترم سلطان الرجل في بيته ، ويحترم ساعة راحته ، ما دخل على صاحبه أبى بكر وقت القيلولة إلا لأمر جليل ، هكذا قال صاحبه وكان الأمر الجليل هو الهجرة الغراء ، وحين دخل عليه لم ير أساء وعائشة ، قال له : أخرج من عندك ، قال الصديق : ما عندي إلا ابتئى يا رسول الله ، وبعض الناس يدخل عليك فيصور بيتك بالكاميرا الخفية ، ينقر كل ما فيه من حيث لا تشعر .

وقال لعثمان بن مالك : أين تحب أن أصلى لك ؟ وقال لرجل دعاه إلى طعامه : هذا الرجل تبعنا فإن شئت أدخلته وإن شئت رجع ، فقال له الرجل : لا يرجع من تبعك يا رسول الله .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره : لو دعيت إلى كراع لأجبت .

وما عاب صلى الله عليه وسلم طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه دون أن يذمه ، فهل الذين ينشدون قصائد ذم في ألوان من الأطعمة لا يشتهونها من أتباعه صلى الله عليه وسلم . وكان صلى الله عليه وسلم أول من يصافح ، ولا ينزع يده حتى ينزع الرجل يده .

وآثر عدى بن حاتم رضى الله عنه بوسادة يجلس عليها لأنه ضيفه . وخدم نفرا أتوا المدينة من الحبشة بنفسه ، فلما قيل له : نحن نكفيك قال : هؤلاء خدموا أصحابي

وحين أساء بين يديه رجل فأثر ذلك في الصحابة نصح له بأدب جم حين أرضاه أن يسمعهم رضاه لأنه أساء إليهم عند دخوله وقال للفتى الذى جاءه طالبا للجهاد وترك أبويه يبيكان ارجع فأسعدهما كما أبكيتهما

وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأبى طلحة إذا دخل بستانه ليشرب من عذب مائه : هل عندكم من ماء بائت وإلا كرعنا ، نفس طيبة تقول : إن كان عندكم من ماء بائت فائتوا به وإلا شربنا من البئر ، لا يتكلف ولا يصر على ماء بائت

وحسن العهد من الإيمان ، قال في حسانة المزنية كانت تزورنا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان

وحسن القضاء من الإيمان ، هكذا رواه ابن عبد البر في قصة الرجل الذى استدان منه صلى الله عليه وسلم للمساكين بكرا (وهو الجمل الصغير) ،

فلما جاء يطلبه لم يجد إلا جملاً فأعطاه إياه ، وقال : إن حسن القضاء من الإيمان .

يضع أطيب الطيب ، ويكره أن تشم منه رائحة كريهة ، أمر بتطهير ثوبه ، والهجر للرجز فامتثل ، وطاب حيا وميتا صلى الله عليه وسلم .

وعلى الجملة التي يقصر في تفصيلها كل إطناب كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، أى ما جاء فيه من أمر إلا كان صلى الله عليه وسلم أول من ائتمر به ، وما جاء فيه من نهى إلا كان صلى الله عليه وسلم أول من انتهى عنه ، فهو أخشى الناس لله وأتقاهم له .

٢٦- وفيها الآية (٣٢) : " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ " وهل تكون طاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا تزكية وطهارة وخيرا .

٢٧- وفيها الآية (٣٨) : " رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً " ، إن زكى النفس يسأل الله تعالى ذرية طيبة ، أما غيره فيسأل أى ولد ، ومن عجائب القصص أن امرأة قالت : يا رب ولدا ولو يضربنى ، وروى بدون "لو" فرزقت ولدا ، وشب وصار رجلا وضربها ، ولا عجب فالبلاء موكل بالمنطق ، وأهل التزكية لا يريدون ذرية تعربد ، ولكن يريدون ذرية تعبد الله عز وجل ، وتكون امتدادا للصالح .

٢٨- وفيها الآية (٩٥) : " قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْأَشْرِكِينَ " الأمر باتباع ملة إبراهيم أمر بتزكية النفوس ، لأنه ذو العقيدة الصحيحة والمكارم العالية .

٢٩- وفيها الآية (١٠٣) : " وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " ، والأمر بالاعتصام بدين الله عز وجل وعدم التفرق سبيل الأمة إلى تزكية جماعية ، يستظل فيها أهل التزكية بوحدة لا تفرق ، واجتماع لا تمزق ، والضعف حليف المتفرقين ، والقوة نصيب المعتصمين بحبل الله المتين .

٣٠- وفيها الآية (١٣٣) : " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " ، الأمر بالمسارعة إلى المغفرة يأتى بالمسارعة فى مكارم الأخلاق ، وفى هذا السياق يقول تعالى فى الآية (١٣٤) : " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " من جرائم هذه الأيام أن شابا قال كلمة لآخر غاظته فأخرج مسدسه وقتله فى الحال ، ما علمه أحد أن يكظم غيظه ، ما سمع أمه ذات يوم تقول : ابنى نجيب ، لا يتسرع بالسوء ، فهو يكظم غيظه ، وإنما سمعها تقول : ابنى دمه حام ، وهذه هى النتيجة

إن لنا قدوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أساء إليه كافر ، ومنافق ، وأعرابى ، وكان أوسع صدرا وأعذر الناس لظروف الناس ، وحادثة عهدهم بالدين ، وطبائعهم .

نريد أن نسمع وصفا للناس من باب تزكية النفوس ، لأن تزكية النفوس من مقاصد البعثة النبوية الشريفة ، وليست أمرا هامشيا ، إنها صلب هذا الدين ، وآية وجوده .

إن كلمة قالها أبوذر (يا ابن السوداء) كان تعقيب النبي الكريم عليها :
"إنك امرؤ فيك جاهلية" ، فمضى بعد ذلك مع غلامه (خادمه) لا
فرق بين ثيابه وثيابه ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : "إخوانكم
خولكم ، أطعموهم مما تطعمون ، وألبسوهم مما تلبسون"

مئات المكالمات التي تأتي من زوجات تعسات كلهن يقلن : اخترت
زوجي لأنه صاحب دين فهو يصلي ويعتمر ويقرأ القرآن ، أود أن
أسمع ذو دين فهو يكظم غيظه ويحسن إلى جاره ، ويتقن عمله ،
ويحفظ لسانه ، ويرحم الضعيف ، ويصل الرحم ، ويكسب المعدوم ،
ويشهد بالحق ، وينطق بالصدق ، ليس الفاحش ولا البذيء .

وقد عجبت من حوار بين شاب ورجل كبير ، قال الكبير للشاب : لا
تغرنك لحييتي ولا ملازمتي للمسجد (أنا صايغ) ، بالله هل يصح هذا؟
وهل يفخر ملتج ومصل بمثل هذا ، قل : أنا عاقل ، أنا فاهم ، لا
تستطيع خداعي .

رحم الله ابن عمر كان يعتق من غلمانه من بدا له صلاحه ، فسارع
غلمانه في ذلك من أجل العتق ، فقليل له : إنهم يخدعونك ، فقال : إنا
إذا خدعنا بالله انخدعنا ، أي لا يضر ، إنما أعتقهم الله لصلاحهم .

ورأى معاذ طائفة من غلمانه وكانوا ثروة له يصلون ، فقال لهم : لمن
تصلون ؟ ، قالوا : لله ، فقال لهم : وأنتم عتقاء لمن تصلون له .

٣١- وفي سورة النساء الآية (٢) : "وَأَتُوا آلَيْتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ" ،
أمرنا ربنا تعالى بأن نؤتي اليتامى أموالهم ، كما نهانا عن أكل أموالهم ،
 واجتماع الأمر والنهي في مسألة واحدة دليل على أهميتها .

٣٢- وفي الآية (٤) : "وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ لِحُلَّةٍ" الأمر بإيتاء
المرأة صداقها أمر بتزكية النفس ، والمرأة في الإسلام يختلف صداقها
بحسب بيئتها وثقافتها ، وقد يسمى الصداق أو لا يسمى ، وهو في
الحاليتين فريضة ، وقابلة للتيسير ، روى البخاري قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : "التمس ولو خاتما من حديد" ، وقد زوج سعيد بن
المسيب ابنته بدرهمين ، وهي شريفة عفيفة حسبية نسيبة قرشية كما
ذكر ابن عبد البر في التمهيد .

وصداق المرأة إذا سمي استحقته بالدخول ، وإن لم يسم فلها مهر المثل
والعجيب أن بعض الناس ينظر إلى ما تستحقه المرأة من صداق
باعتبار المدة ، لا باعتبار الدخول ، أي عكس الشرع ، صاح شاب
وأبوه وأمه وبعض الجيران في وجه عروس وأبيها وأمها إثر طلاقها
بعد شهر من دخوله بها :

- نعم نعم ... كيف تطلبون مبلغا كبيرا وهي لم تدم معه غير شهر؟
- هو الذي طلقها !
- ولو
- ماذا تقصدون ؟

- لقد كتبنا مبلغ الخمسين ألف كمؤخر صدق على اعتبار أنها ستعيش

- وهى لم ترفض أن تعيش

- هى سبب الطلاق على كل حال ، وأمها كذلك

- بيننا المحاكم إذا

- مكان ما تضعون أرجلكم ضعوا رءوسكم

يا أيها الأسوياء النبلاء ، إن المرأة في الإسلام تستحق الصداق كاملاً إذا

تم الدخول بها ، لتعلموا أن العرض غال في دين الله عز وجل

٣٣- وفيها الآية (٤) : " فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

هَنِيئًا مَّرِيئًا " أمر بأكل ما طابت به أنفسهن عن شيء منه ، هذا من

أهم مبادئ التزكية في الإسلام ، في الصداق وغيره ، وفي خطبة الوداع

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن

طيب نفس منه .

وقد أثر النظم الجليل كلمة "نحلة" في الصداق ، ومعناها : فريضة ،

ولكن الفرق بين "نحلة" و "فريضة" أن النحلة فريضة تؤدى بطيب

نفس .

٣٤- وفيها الآية (٦) : " فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ

أَمْوَالَهُمْ " ، أمر بدفع أموال اليتامى إليهم متى بلغوا النكاح وكانوا

راشدين ، يقول الالوسى : " وإنما أوتر ادفعوا على الإيتاء لعدم

التأخير " روح المعانى ٦٤٩ / ٣

إن النفس الزكية تعجل بدفع أموال الناس لا سيما اليتامى إليهم دون

تأخير

ومن الناس من إذا أعطاك حقه كان كمن يعطيك روحه يستلها من

جسده ، وقد روى أهل الفكاهة أن رجلاً سأل رجلاً قرضاً فقال له :

كم تريد ؟ قال : ألفاً ، قال : هذه هى ، وقبل يدي أولاً ، فقال : وما

الداعى أن أقبل يدك ؟ قال : لأننى سوف أقبل قدمك حتى تردّها إلى .

٣٥- وفيها الآية (٢٥) : " فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ " إذا كان ذلك

في الإماء احتراماً للسيد فهو في الحرائر أولى ، لابد من ولى وشاهدى

عدل ، إن النفس الزكية تأبى الزواج في غياب الولي الذى ربه وكبر ،

وصان وحفظ ، تأبى الظلام وترضى بالنور والوضوح .

٣٦- وفيها الآية (٣٤) : " فَعِظُوهُنَّ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ وَلَهُنَّ فِي

الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُنَّ " ونحن ننظر هنا إلى الترتيب وصلته بتزكية

النفوس ، فالنفس الزكية تبدأ بالموعظة قبل الهجر ، وقبل الضرب

الذى من شرطه ألا يكون مبرحاً ، وألا يترك أثراً ولا عاهة ولا كسراً ،

من تزكية النفوس أن تمد لسانك بالكلمة الطيبة قبل أن تمد يدك

بالضرب ، وانظر إلى قوله عز وجل : " واهجروهن في المضاجع " فقد

جعل المضاجع محلاً للهجر ، فالهاجر لا يهجر البيت برمته ، ولا يغيب

عنه ، وفي الوقت نفسه لا يبقى فيه من أجل تعذيب أهله والقسوة عليهم

٣٧- وفيها الآية (١٣٥) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ" أمر بالقيام بالقسط ، والشهادة لله ، ولو على النفس ، ليس بعد هذا من مثالية في التزكية ، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم رجلا بشيء في يده فقال له : أوجعتني يا رسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : اقتص مني ، فقال كان صدري عاريا ، فعري له صلى الله عليه وسلم صدره فإذا به يضع صدره على صدره ، وقال : أتظنني أضربك يا رسول الله ، قال : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيت أن يكون هذا آخر عهدي بك ، فنحن مقبلون على قتال القوم ، فأردت أن يكون آخر عهدي بالدنيا أن يلامس جسدي جسديك ، فقال له خيرا .

٣٨- وفي سورة المائدة الآية (٨) : "أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" وَأَتَّقُوا اللَّهَ " والأمر بالعدل من أجل تزكية النفوس فليست هناك نفس زكية مع الظلم بحال من الأحوال .

٣٩- وفيها الآية (١٣) : "فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" العفو من شيم النفوس الزكية ، والصفح مهم جدا من أجل تحقيق ثمرة العفو ، ونحن قد عرفنا العفو ، لكن صفحة

الصفح عندنا غير نقية ، فنحن نذكر من عفونا عنه دائما بجرمه بين الحين والحين ، خاصة إذا حدث منه شيء

٤٠- وفي الآية (٤٨) : "فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" ٤١- وفيها الآية (٤٩) : "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" والحكم بما أنزل الله يزكي النفوس ؛ لأنه حكم حسن ، هكذا قال الله تعالى في الآية (٥٠) : "أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾" وعبر هنا بالحسن ، وسر الحسن مرجعه إلى العدل والإنصاف والبيّنة .

٤٢- وفيها الآية (١١٠) : "إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ" يتكرر في الكتاب العزيز الأمر بذكر نعمة الله عز وجل ، وذكر النعمة دليل على زكاة النفس وسبيل إلى تزكيتها ، وما أكثر الذين لا يحبون ذكر النعمة ، يلهيهم ذكر ما عند غيرهم ، حتى ينسوا ما عندهم من نعمة

٤٣- وفي سورة الأنعام الآية (٩٩) : " وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " إن الأمر بالنظر إلى الثمر إذا أثمر ، ونضج "ينعه" من تزكية النفوس ، وتربية الذوق فيها ، وهذا من الدروس التي غابت عن كثير من الناس ، والله در الأستاذ أحمد أمين الذي كتب إلى ولده يعلمه الذوق ، فقال له : إن للذوق مراحل كمراحل الطريق ودرجات كدرجات السلم ، وهو يبدأ بتعودك مناظر الجمال .

والله عز وجل يأمرنا بالنظر إلى الثمر ، وفي ذلك جمع لقيمة الغذاء وقيمة الجمال في وقت واحد ، وقد استمعت إلى كلام جيد في هذا من الدكتور مصطفى محمود - رحمه الله - قال فيه : لو أن المسألة مسألة غذاء فقط لخلق الله لنا كبسولة فيها مكونات الغذاء المطلوب ، ولكن الأمر يتعدى ذلك إلى قيمة جمالية في شكل الثمر ، ولونه ، ومذاقه .

٤٤- وفيها الآية (١٤١) : " وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ " وقد تأملت علاقة "يوم حصاده" بالأمر "آتوا حقه" وذلك في ضوء تزكية النفوس ، فإن الفقراء والمساكين يتطلعون إلى يوم الحصاد كما

يتطلع إليه أصحاب الزرع ، فمن زكى الله تعالى نفسه أسعد غيره كما أسعده الله تعالى برزقه .

ذكر الالوسى أن مجاهدا قال : "إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل ، فإذا دسسته فحضرك المساكين فاطرح لهم ، فإذا ذريته وجمعتهم وعرفت كيله فاعزل زكاتك" روح المعاني ٥/ ٦١٣ .

٤٥- وفيها الآية (١٥٢) : " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا "

٤٦- وفيها الآية (١٥٢) : " وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا " أمر بالعدل في القول والوفاء بالعهد ، وهما من تزكية النفوس .

٤٧- وفيها الآية (١٥٣) : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ " ومن اتبع صراط الله فقد تزكى .

٤٨- وفي سورة الأعراف الآية (٣) : " أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ " والأمر باتباع الذكر الحكيم سبيل إلى الحق والعدل والرشد وكل ذلك مما يزكى النفس .

٤٩- وفيها الآية (٢٩) : " وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ " أمر بإقامة الوجوه عند كل مسجد ، لا عند كل مصيبة ومعصية ، وإقامة الوجوه تعنى القيام والاهتمام ، وقد جاء في التفاسير أن معناها التوجه إلى أى مسجد إذا حضر وقت الصلاة دون رجوع إلى المسجد المعتاد للمصلى .

٥٠ - وفيها الآية (٥٥) : " اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " والاعتداء في الدعاء له صور متعددة ، منها رفع الصوت ، ومنها الدعاء بمجرد ، ومنها الدعاء بما لا يليق من الفاظ ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن رفعوا أصواتهم بالدعاء : أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم

٥١ - وفيها الآية (٧٣) : " فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " إذا كان هذا في الناقة فما بالناس في الإنسان الضعيف الذي يمنعه غيره أن يتكسب إلى جاره .

٥٢ - وفيها (٨٥) : " فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ " أمر يتكرر

في كتاب الله بالوفاء في الكيل والميزان يتعلق بالعدل وهو من تزكية النفوس .

٥٣ - وفيها الآية (١٠٣) : " فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ

الْمُفْسِدِينَ " من تزكية النفوس أن ينظر الإنسان في عاقبة المفسدين حتى لا يكون منهم .

٥٤ - وفيها (١٢٨) : " قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا

" ومن يتزكى مثل من استعان وصبر ، وهل تعنى الاستعانة بالله إلا التمسك بدينه والتوسل إليه بطاعته .

٥٥ - وفيها (١٤٥) : " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ " من باب تزكية النفوس أخذ التعاليم بقوة ، قال تعالى " علمه شديد القوى " ، وقال عز وجل : " يا يحيى خذ الكتاب بقوة " ، وأمر الأهل بما يصلحهم : " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " ، إن التكاسل والتضاعف في العلم وطلبه والفرائض والقيام بها يؤدي إلى كارثة ، وقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضر وقت الصلاة هب كأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه .

٥٦ - وفيها (١٥٨) : " فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " مرة أخرى نعود إلى الأمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن اتباعه هو المنهج في تزكية النفس والفوز برضوان الله تعالى .

٥٧ - وفيها (١٩٩) : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ " ثلاثة أوامر جامعة من مكارم الأخلاق الكثير أن تأخذ بالعفو ، لا الصلب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي جامع الصدقات ألا يأخذ كرائم أموال الناس ، لأنها تتبعها أنفسهم ، والأمر بالعرف يعني الأمر بالمعروف ، والإعراض عن الجاهلين سبيل

المتزكين ، وقد روى أن شاباً قرأها على عمر فهدأت ثورته ضد أحدهم بعد إساءته .

٥٨- وفيها الآية (٢٠٥) : "وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" إن قوله تعالى "ودون الجهر" من القول بعد من أبعاد الذكر مهم جداً ، أرأيت إنساناً سها بعض الشيء فقيل إنه يذكر الله في نفسه ؟ لا إن الناس يقولون له : من أخذ عقلك ؟ ، يعنى هو يفكر في هواه ومحبوبه ، والله در الشافعى القائل : لقد رتبت مائة مسألة في العلم وأنا مستقل على ظهري ، نحن نريد من (يسرح) في ذكر الله في نفسه ، ونريد من حفظة القرآن الكريم أن يراجعوه في أنفسهم ، نريد من يصمت وفي داخله نية خير ، مشغول بطاعة ، يسافر في كل الآفاق وهو على مقعده ، يذكر الله وهو يرجو للناس الخير

٥٩- وفي سورة الأنفال الآية (١) : "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ" إن إصلاح ذات البين مهمة صعبة ، والساعى فيه داع إلى التزكية من صلبها ، فليست هنالك نفس زكية على فساد طوية .

٦٠- وفيها الآية (٢٥) : "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" من أهم أوامر القرآن الكريم هذا الأمر المتعلق بتزكية النفوس والذي يعنى أن الفتنة

تأخذ الصالح والطالح وهى الفتنة السائدة دون من يعترض عليها ، دون من ينكرها ولو بقلبه ، قالت أم المؤمنين : أهلك وفينا الصالحون ، قال صلى الله عليه وسلم : نعم إذا كثرت الخبث .

٦١- وفيها الآية (٦١) : "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" أمر بمسألة من يسالم ، وهذا في مجال العلاقات الاجتماعية فيه معاناة ، فالرجل يدعى إلى المصالحة لأن ابن عمه يريد لها فيأبى ، وليس هذا من تزكية النفوس .

٦٢- وفيها الآية (٦٩) : "فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" الأمر بأكل الحلال ومنه الغنيمة التى أحلت لأمتة صلى الله عليه وسلم من تزكية النفوس فأبى جسد نبت من حرام فالنار أولى به .

٦٣- وفى سورة التوبة الآية (٤) : "إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" فانظر إلى علاقة الوفاء بالعهد بالتقوى ، وجدد هذا المعنى حتى يسود في الحياة ، نود أن نقول : إن فلانا نحسبه من المتقين لأنه من الذين يوفون بالعهود وفيها الآية (٦) : "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ" ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَعْلَمُونَ " أمر بإجارة المشرك الذي يستجير بنا ، وأمر بأن نبلغه مأمته ، ولا إكراه في الدين فما تقول في رجل يستجير به أخوه فلا يجيره ، ووالد يستجير به ولده فلا يجيره !

٦٤ - وفيها الآية (٧) : "فَمَا اسْتَقِمْوا لَكُمْ فَاسْتَقِمْوا هُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" المتقون هم الذين يستقيمون للمستقيم لا الذين يقولون : ولو !

٦٥ - وفيها الآية (١١٩) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" الأمر بالتقوى من باب الصدق ، والصدق يهdy إلى البر ، والبر يهdy إلى الجنة ، نريد أن نقول : فلان نحسبه من المتقين لأنه صادق ، صدق كعب وزميلاه ، فتاب الله عليهم من فوق سبع سماوات .

نحن نريد من يعترف بذنبه ، ويستغفر ربه ، لقد سمعنا من كثير من الناس قولهم : أنا لا أخطئ أبدا ، وهل هناك عصمة إلا للرسول .

٦٦ - وفي سورة يونس الآية (٣٩) : "فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الظَّالِمِينَ" الأمر بالنظر في عاقبة الظالمين سبيل إلى تزكية النفوس ، وقد كثر الحديث هذه الأيام عن كثرة الأحكام القضائية بالإعدام ، ولا رادع فما زالت الجرائم الوحشية في ازدياد ، وتلك دعوة إلى النظر ، والنظر في كلام الله تعالى وتدبره خاتمه خير عند الذين يخشون ربهم بالغيب ، ومن

الناس من يشك في كل شيء ، إلا كلام الله عز وجل ، وإشاعة النظر في عواقب الظالمين والمفسدين ستؤدى إلى إصلاح بإذن الله .

٦٧ - وفيها الآية (٤٩) : "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" الأمر بقول "لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله" من أهم الأوامر المزكية للنفس ، ولو علمه الدجال لما ادعى علم الغيب ، ولو علمه المهووسون بالأبراج والنجوم لكفوا ، إن خير الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمره ربه الذى اصطفاه وطهره وعصمه ونصره أن يعلن أنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله فليستح كل إنسان يعرف قدره .

٦٨ - وفيها الآية (١٠٥) : "وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" إن من تزكية النفوس أن تقوم للدين ، إنه دين القيام فى الصلاة للقادر عليه ، ودين القيام للفرائض والاهتمام بها ، ودين القيام لنصرة المظلوم ، ودين القيام من الصغير فى خدمة الكبير ، قال الأنصار لأبى سعيد الخدرى حيث كان أصغر من حضر مجلسهم : قم مع أبى موسى ، فقام ليشهد عند عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وكان أبو موسى رضى الله عنه قد استأذن ثلاثا عند عمر رضى الله عنه ، فلما لم يأذن له أحد رجع ، فخرج عمر ودعاه ، وسأله عن رجوعه ،

فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع ، فقال عمر : ائتنى بمن سمع معي وإلا فعلت فيك كذا وكذا ، فذهب أبو موسى إلى مجلس الأنصار ، وسأل عمن سمع هذا الحديث ، فقالوا : كلنا سمع ، قم يا أبا سعيد وكان أصغرهم ، فقام وشهد عن عمر بذلك ، وكان رضى الله عنه يعود الناس التحرى في نقل الأحاديث ، وكان في زمانه حديثو عهد بالإسلام فخشى أن يتجرأ الناس على الرواية عنه صلى الله عليه وسلم بحق وبغير حق ،

والقيام في مواضعه ومواطنه سبيل تزكية وأمانة جد ، وآية رشد ، وعلامة جمال ، والأمر بالقيام حتى لمن يجلس دليل عناية ، تقول : قام بكتابة هذا الموضوع الأستاذ فلان ، مع أنه كتبه وهو جالس نحن في حاجة إلى روح القيام حتى وإن كنا عاجزين عنه

٦٩- وفيها الآية (١٠٩) وهي الأخيرة : "وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" أمر يتكرر باتباع الوحي ، واتباع الوحي يقتضى فقه الوحي

وأعلم الناس بوحى الله المنزل من السماء من نزل عليه الوحي صلى الله عليه وسلم ويليهِ العلماء ورثة الأنبياء ، وقد يظن ظان أنه يتبع الوحي ، وهو منه بعيد ، وتلك آفة تلوث النفوس ولا تزكيها ، فقد روى البخارى أن الله إذا قبض العلم بموت العلماء اتخذ الناس رءوسا جهالا ، يستفتون فيفتون بغير علم ، فيضلون ويضلون

٧٠- وفي سورة هود الآية (٣) : "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ" الأمر بالاستغفار والتوبة وما يترتب عليهما من متاع حسن في الدنيا سبيل تزكية النفوس ، التى يجب أن تكف عن السوء وأن تفعل الحسنات ، يمحو الله برحمته بها السيئات ، فالتهادى فى الآثام مجلبة للهلاك .

٧١- وفيها الآية (٦٤) : "وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ" أمر بترك الناقة تأكل فى أرض الله ، وقد سبق فى سورة الأعراف ، ولكن قال هنا "عذاب قريب" ليبين أن العذاب الأليم فى الأعراف قريب غير بعيد ، وهذا يشمل كل من يتعرض لرزق الناس ويمسهم بسوء ، فليحذر الناس ذلك .

٧٢- وفيها الآية (٨٥) : "وَيَنْقُومِ أَوْفُوا أَلْمِ كَيْالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ" أمر يتكرر بالقسط فى الكيل والوزن

٧٣- وفيها الآية (١١٢) : "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" قالها النبى صلى الله عليه وسلم لمن سألته عن عمل يدخله الجنة : قل آمنت بالله ثم استقم ،

الاستقامة ضد الاعوجاج ، وضد التقطع فمن معانيها الاستمرار على الطاعة ، ولو كانت قليلة

٧٤- وفي سورة يوسف الآية (١٠١) : "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" طلب جاء على صورة الأمر أن يتوفاه الله مسلماً وأن يلحقه بال صالحين ، غاية زكى النفس أن يقبضه الله مسلماً وأن يلحقه بال صالحين ، وذلك بعد أن بلغ شأوه في الدنيا ، فقد قال في الآية نفسها : "رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ"

٧٥- وفي سورة إبراهيم الآية (٥) : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" نقف عند قول الله تعالى : "أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" هذا الأمر يشمل تزكية النفوس ، لأن غايته إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وأول السورة قول الله عز وجل : "الرَّ كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" وإخراج الناس من الظلمات إلى النور من مقاصد بعثة الرسل جميعاً ، وذلك يتأتى عن طريقين متكاملين متقابلين متضامنين : أولهما : التوحيد ، والثاني : السلوك ، وبهما تتم تزكية كل نفس .

والأمر الثاني في الآية الكريمة قول الله عز وجل : "وذكرهم بأيام الله" أى ذكرهم بنصر الله وتأييده ، فهو الذى رحمهم من فرعون وطغيانه الذى كان يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، ويسخرهم فى أدنى الوظائف .

٧٦- وفي سورة الحجر الآية (٨٥) : "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَحْ الصَّصْحَ الْجَمِيلَ" الأمر بالصفح متكرر كذلك ، من أجل تزكية النفوس ، وقد أشرت إلى أننا عرفنا العفو ولكن ما زلنا فى حاجة إلى الصصح

٧٧- وفيها الآية (٨٨) : "وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ" إن خفض الجناح للمؤمنين من التزكية بمكان ، وخفض الجناح للوالدين كذلك من هذه التزكية

٧٨- وفي سورة النحل الآية (٣٦) : "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ" الأمر باجتناى الطاغوت مدعاة إلى التزكية ، والطاغوت كل طاغية ، وكل ما يدعو إلى الضلالة ، وقيل الشيطان ، وهو فى مقابلة الأمر بعبادة الله عز وجل ، فمن كفر

بالتاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، نود أن نقول : فلان يكفر بالطاغوت لأنه ذو مال ، وهو يتقى فيه ربه ، ويصل به رحمه ، ويدعو به إلى الخير ، وفلان يكفر بالطاغوت لأنه ذو منصب ، وهو لا يظلم أحداً ، وفلان يكفر بالطاغوت ، لأنه يملك دية الناس ولا يقتلهم .

٧٩- وفيها أيضاً : "فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" والأمر بالنظر في عاقبة المفسدين وعاقبة الظالمين وعاقبة المكذبين مدعاة إلى تزكية النفوس كما سبق .

٨٠- وفيها الآية (٩١) : "وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ" الأمر بالوفاء بالعهد من تزكية النفوس ، وهو متكرر في الكتاب الكريم

٨١- وفيها الآية (١١٤) : "فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلْالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" الأمر بأكل الحلال من تزكية الأبدان ، وتزكية النفوس كذلك ، لأن النفس الزكية هيهات أن يكون طعامها حراماً ، واقتران الأمر بالشكر بالأمر بالأكل تكملة للمعادلة ، فمن أكل ولم يشكر كان كأهل سبأ ، مزقهم الله كل ممزق ، وجعلهم أحاديث ، وتفرقوا وضرب بتفرقهم المثل ، فقيل : تفرقوا أيادى سبأ .

٨٢- وفيها الآية (١٢٥) : "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة منهج الرسل ، وهم أولو نفوس زكية فمن دعا إلى الله بلا

حكمة ولا موعظة حسنة لم يكن زكياً ، ولن تحقق دعوته تزكية لنفس ، والحكمة تقتضى العلم ، ويا ليت الذين لا يعلمون يسكتون ، والموعظة الحسنة تقتضى الاختصار ، والقول الطيب واليسر ، وتحبيب الله إلى عباده

٨٣- وفيها الآية (١٢٦) : "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" العقاب بالمثلية دليل على تزكية النفس ، لأنه عدل ، والعدل من أهم مقومات النفس الزكية ، ناهيك بالصبر الذى يقتضى العفو دون العقاب ، فانظر إلى هذا التدرج من تزكية إلى تزكية ، من تزكية بالعدل إلى تزكية بالصبر ومقتضاه .

٨٤- وفي سورة الإسراء (٢٣) : "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا" الأمر بقول القول الكريم للوالدين من باب تزكية النفوس ، وهما أولى به من غيرهما ، قال الألوسى : "القول الكريم : الجميل الذى لا شراسة فيه ، مثل أن يقول : يا أبتاه ، ويا أماه ، ولا يدعوها بأسمائهما ، فإنه من الجفاء وسوء الأدب ، وليس مخصوصاً به" روح المعانى ٣٤ / ٩

٨٥- وفيها الآية (٢٤) : "وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" تواضع لوالديك ،

وتدلل لهما ، كن ركبا ذلولا ، كن كطائر جاء عند والديه فخفض عندهما جناحه ، ولا تكن مثل فلان الذى يخشى والداه أن يكلماه فى شىء ، لا تكن مثل فلان الذى يهب فى وجه أمه فيرعها ، وأجارك الله أن تكون مثل فلان الذى يضربها

شاب رأى أمه العجوز تفعل شيئا فى الشارع لا يفعله الناس إلا فى الحمام ، وكانت فوق الثمانين وهى مريضة بأمراض الشيخوخة ، لا فرق عندها بين الحمام وغيره ، فضربها حتى كسر لها ضلعا ، فلما استنكر ذلك بعض الناس والحمد لله قال : أتعبتنى ... جاهدت معها ... ولا فائدة ، إنها فضحتنى بمثل هذه الأمور ... أنا فى نار يا ناس ، ماذا أفعل وقد دعوت الله أن يقبضها إنما يريد أن يعذبنى بها ، كلام تنفطر له الحجارة وتنشق له الأرض ، ولو علم هذا الفاجر أن أمه بهذا الصنيع مسكينة تحتاج إلى رعاية وأن صبره عليها مرضاة لله عز وجل ، وسبيل إلى رحمته به فى الدنيا والآخرة .

٨٦- وفيها الآية (٢٦) : "وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ" إن شعور المتصدق أنه يؤتى المتصدق عليه حقه من دلائل تزكية النفس ، فالفضل لله عز وجل وما الإنسان إلا مناول .

٨٧- وفى سورة الكهف الآية (٢٤) : "وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا" ما وجدت أذكى من إنسان يذكر ربه إذا نسى ويقول : عسى الله أن يهدينى ربي

لأقرب من هذا رشدا أى يهدينى ربي إلى الصواب من أقرب طريق ، وقد ذكر الألوسى (٤٥١/١٠) "وقل عسى أن يهدينى ربي لما هو أظهر من ذلك دلالة على نبوتى" ليس هناك أذكى ممن يذكر الله ويسبحه ويستغفره إذا نسى ، والرجوع إلى الحق أولى من التماهى فى الباطل .

٨٨- وفيها الآية (٢٨) : "وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" ما أطيب لمن يتغنى تزكية نفسه أن يسلك سبيل الصالحين ، وأن يصاحب الأبرار ، وأن يصبر نفسه على مجالستهم ، فمثل المجلس الصالح كحامل المسك الذى إما يبيعك وإما أن تشم منه رائحة طيبة

٨٩- وفى سورة مريم الآية (٦٥) : "رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ" هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" ليس من التزكية أن تضجر ، أو أن تميل إلى الضجر ، إنه الاصطبار الذى يعنى الصبر وزيادة ، ومن الصطبار فى العبادة عدم قتل النفس لضجر ، وعدم تمنى الموت ، نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تمنى الموت ، والاصطبار لا يوحى بطول المدة بين الابتلاء والفرج ، فالحديث عن قرب رحمة الله عز وجل أصيل فى كتاب الله

- "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ" الأعراف / ٥٦ .

- "نَصْرُ مَنْ أَلَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ" الصف / ١٣

- "أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" البقرة / ٢١٤

- "وَأَثْبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا" الفتح / ١٨ .

إننا الذين استبعدنا رحمة الله ، وفتحنا ونصره ، وأسأنا الظن بالله ، فزعمنا أن بيننا وبين النصر آمادا بعيدة ، واطمأن بعضنا إلى الأسباب ، فإذا توفرت تحققت كل المنى ، وإذا غابت أخفقت أضواء الأمل ، والله تعالى هو الذى خلق السبب ، وهو الذى جعل فيه النفع ، وهو القادر وحده أن يبلغنا ما نريد بدونه ، سبحانه وتعالى ، وحسن الظن به عز وجل من اليقين ، ولن تجد نفسا زكية تفقد ثقتها بالله عز وجل أبدا ، من هنا أقول إن الاصطبار زيادة عزيمة فى الصبر ولكن فرج الله قريب .

٩٠- وفى سورة طه الآية (٢٥) : "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي"

طلب شرح الصدر من الأدعية المتصلة بتزكية النفوس لأن الصدر إذا شرحه الله اتسع لكل خلق الله ، وقد من الله عز وجل على كليمه موسى عليه السلام فاستجاب الله ، فشرح صدره ويسر له أمره ، وحل عقدة من لسانه ، وجعل له وزيرا من أهله ، هارون أخاه ، شد به أزره ، وأشركه فى أمره ، بدليل قوله تعالى : "قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى" كما من عز وجل على خاتم النبیین ورحمته للعالمین محمد

صلى الله عليه وسلم بأن شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، الذى أنقض ظهره ، ورفع له ذكره .

٩١- وفى الآية (١١٤) : "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" وكذلك سؤال

الله عز وجل زيادة العلم ، فإن التزكية مبنية عليه ، ولا يعنى هذا ألا يسأل العبد ربه جل وعلا زيادة المال والعافية وكل ما فيه خير الله ، ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : "اللهم زدنا ولا تنقصنا" وهو مطلق يشمل الدين والدنيا .

٩٢- وفى الآية (١٣١) : "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه

وسلم أن يصبر على ما يقول الكافرون من نحو ساحر ومجنون ، ومن تزكية النفوس : الصبر على الأقوال ، فنحن فى تلك الحياة الدنيا لا

نتعامل مع ملائكة مفريين طاهرين مطهرين ، وإنما نتعامل مع بشر مختلفين فى كل شىء ، قليل منهم مهذب ، وأكثرهم لا يعلمون

واليوم صرنا نرى بعض الناس ينشبون نار الحرب من أجل كلمة ، بل صرنا نرى أزواجا لا يصبر بعضهم على كلمة قالها صاحبه ، بل تقوم الدنيا كما يقولون ولا تقعد من أجل كلمة .

٩٣- وفيها الآية (١٣٢): "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا"

جاء الأمر بالاصطبار مرة أخرى مما يدل على أن تزكية النفوس أمر لا يتحقق بين عشية وضحاها ، وفي زماننا أناس يعلنون أنهم ضاقوا بأبنائهم ذرعا ، وأنهم سئموا من أمرهم بالصلاة ، ويسألون هل من آية معينة ؟ هل من دعاء معين ؟ إن العلاج أيها السادة في الاصطبار .

٩٤- وفي سورة الأنبياء الآية (٧): "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا

نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" ولعل سائلا يسأل : ما علاقة الأمر بتزكية النفوس في هذه الآية ؟ أى ما علاقة الأمر بسؤال أهل الذكر بتزكية النفوس ؟ والجواب من خلال الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسا ، سأل راهبا ليس عالما هل لى من توبة ؟ فقال له : لا ، فأتم به المائة ، ولولا أنه سأل العالم الذى قال له نعم لك توبة لأتم به المائة وواحدا جديدا للمائة الثانية ، إن العلم أفاده ، فزكاه ، وطهره ، وأعاناه على الكف عن الأذى ،

إن ذهابك وأنت مريض إلى جاهل معناه أنك تسعى إلى هلاك بدنك وإزهاق روحك فأنت تقصد طبيا ماهرا من أجل تزكية بدنك بدفع الضرر عنه ، وأنت تقصد إماما معتبرا من أجل تزكية دينك بدفع الأوهام عنك .

٩٥- وفي سورة الحج الآية (٢٨): "لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَ لَهُمْ

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ

الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ" من تزكية النفوس أن تأكل وتطعم البائس الفقير وليس منها أن تأكل وحدك ، وتنسى من حولك من البائسين الفقراء وقد يكونون من أقرب الناس إليك

٩٦- وفيها الآية (٣٠): "فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" ألا وشهادة الزور ، وكان عليه الصلاة والسلام متكئا فجلس ، وقال الصحابة : ودنا لو أنه سكت ، وذلك منهم إشفاق عليه صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا الحديث درس جديد من دروس تزكية النفوس أن تود لو لم تثر حبيبا لك ، هناك بعض الناس يسعدون بثورة أحبائهم ، وهذا عجيب .

٩٧- وفيها كذلك الآية (٣٦): "فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ

وَالْمُعْتَرَّ" ، قال العلماء : المعتر : الذى يعترضك ويسألك عكس القانع الذى لا يسأل ، وفي حديث البخارى : ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، وإنما المسكين الذى ليس عنده ما يكفيه ، ولا يسأل الناس ، فلا يفتن إليه أحد

٩٨- وفيها الآية (٧٧): "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا

وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"

انظر كيف جمع بين العبادة وفعل الخير ، إن العابد الحقيقى هو من ركع

وسجد وعبد ربه وسعى في الخيرات ، ومنها إمطة الأذى عن الطريق ، ومعونة المسكين .

٩٩- وفيها الآية (٧٨) : " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ " كم من أناس يتخلفون عن تزكية النفس بسبب الكسل والخمول ، قال العلماء : حق الجهاد معناه إفراغ جميع الطاقة في ميادين الطاعة ، ونحن لدينا أمثلة شائعة منها (بارك الله فيما رزق)

١٠٠- وفيها كذلك الآية (٧٨) : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ وَآلِهِ وَنَبِيِّكُمْ " فأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأعتصموا بالله هو مولدكم فنعم المولى ونعم النصير " أمر بإقامة الصلاة يصحبه أمر بإيتاء الزكاة ثم أمر بالاعتصام بدين الله ، ومنه حسن الخلق بلا شك ، إن الزكاة تزكى المال ، وإذا تزكى المال فقد تزكى صاحبه

١٠١- وفي سورة المؤمنون الآية (٢٩) : " وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ " طلب ، دعاء أن ينزلنا الله تعالى منزلا مباركا ، فهو سبحانه وتعالى خير المنزلين ، والحديث عن البركة حديث طويل ، وغاية ما أود ذكره هنا أن البركة نواة في هذا الدين قليل من الجهد يبارك الله فيه فيدوم ويكفى أو يكثر .

١٠٢- وفيها الآية (٥١) : " يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " المتأمل في الكتاب العزيز يجد أنه بعد الأكل شيئا ، شكرا وعملا وإطعاما للغير ، فمن علمنا أن نأكل وننام

١٠٣- وفي سورة النور الآية (٢٢) : " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ " أمر يتكرر بالعفو والصفح ، والشنغال لمن تزكى " أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ "

١٠٤- وفيها الآية (٢٨) : " وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ " نص على التزكية في سياق الرجوع عن زيارة الناس الذين لا يرغبون في الزيارة في وقت يكونون فيه في معالجة أمر من أمورهم الخاصة .

١٠٥- وفيها الآية (٣٠) : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " نص آخر على التزكية ، فكم من مرسل بصره كانت عاقبته غير محمودة ، إن من أهم سبل التزكية للنفس غض البصر وحفظ الفرج ، أما علاج تلك الرغبة المعروفة فعن طريق الزواج ، لا العلاقات التي لوثت النفوس والشوارع وكان وراءها ما وراءها من قبح .

١٠٦- وفيها (٣٢) : " وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ " الأمر بتزويج من لا زوج له من ذكر أو أنثى سعى إلى التزكية واستقرار النفوس ، والحياة الهادئة القائمة على السكن والمودة والرحمة .

١٠٧ - وفيها الآية (٣٣) : "وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَحْجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" الأمر بالعفة في سياق اللذة الفطرية والتعبير بـ "حتى يغنيهم الله من فضله" أمل ورجاء يقتضى العمل ، هناك درس العفة وهو من أهم دروس تزكية النفس .

١٠٨ - وفي تلك الآية يقول الله تعالى : "وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ" السعى إلى تحرير الرقاب من مسالك الإسلام إلى تزكية النفوس ، والحرية مهمة ليتسنى العمل والإنتاج ، وقس على الآية أن تعين كل من علمت فيه خيرا ليزداد خيرا

١٠٩ - وفيها الآية (٥٨) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَكَمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُورٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" من أهم دروس تزكية النفس في هذا الدين معرفة الآداب التي يجب أن يتحلى بها الخدم والأطفال ، (الاستئذان) الذي بات كثير من الناس يتجاهلونه في هذه الأيام

١١٠ - وفيها (٥٩) : "وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" الاستئذان للصغار حتى يتدربوا ولل كبار كذلك ، إن بعض الأمهات يخلعن ملابسهن أمام أطفالهن وزملاء أطفالهن ، والولد يبلغ الحلم ويرى عورة أمه وعورة أم زميله ، وهات يا ضحك ، وأنا أمك يا ولد وهذا ليس من الإسلام .

١١١ - وفيها (٦١) : "فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" الأمر بالسلام على الناس أمر بالسلام على النفس ومعروف كيف ندخل بيوت غيرنا ، وإلقاء السلام تحية المسلمين من آيات الله عز وجل

١١٢ - وفي سورة الفرقان الآية (٧٤) : "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" الأمر الذي هو دعاء ورجاء بأن تكون الأزواج والذريات قررة أعين ، لا الصواحب والأخذان وأولاد الجيران ، زكى النفس من سأل الله قررة عينه في حلاله

١١٣ - وفي سورة الشعراء الآية (٨٤) : "وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ" ساد في الناس اليوم خصوصا الشباب قولهم : أنا لا يهمنى أحد ، أنا لا يهمنى كلام الناس ، وهذا ليس من تزكية النفوس

١١٤ - وفي سورة النمل الآية (١٩) : "وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" من قال فينا

عند مشاهدة النعمة : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على

وكم من الناس يصدر أصوات البهجة بالنعمة دون سؤال ،،

ولعل سؤالاً يخطر بالبال ، ما علاقة وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

بحديث النعمة ، والجواب الذي وفقني الله إليه هو أن النعمة قادمة من الله

عز وجل ، والله عز وجل واسع ، فالزكي الذكي هو من سأل المنعم بخير

الدعاء عند تحقق النعمة لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

١١٥ - وفيها الآية (٦٩) : "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" يتكرر الأمر بالنظر إلى عاقبة من لا زكاة فيهم

من المفسدين والمكذبين والظالمين والمجرمين .

١١٦ - وفي سورة القصص الآية (٧٧) : "وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"

آتاك الله مالا فاعمل به الخير لآخرتك وكل واشرب ولا تسرف

آتاك الله جاها وسلطانا فاعدل من أجل آخرتك .. وهكذا

تلك المعادلة ، العمل للآخرة مع أخذ النصيب من الدنيا منتهى

التوفيق في تزكية النفوس .

١١٧ - وفيها (٧٧) : " وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " الأمر

بالإحسان أمر بتزكية النفوس

١١٨ - وفي سورة لقمان الآية (١٢) : "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ

أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ حَمِيدٌ" فسرت الحكمة وهي ركيزة من ركائز تزكية النفوس

بالشكر لله

١١٩ - وفيها الآية (١٤) : "أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ" فانظر كيف

تعدى الشكر باللام مع الله عز وجل ومع الوالدين .

١٢٠ - وفيها (١٧) : "يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ" بدأت الآية بالأمر بإقامة الصلاة ،

ثم ماذا بعد الصلاة ؟ أمر بمعروف ونهى عن منكر وصبر على ما

أصاب المصلي ، فهل المصلي يصاب ؟ نعم ولكنه ذو صبر جميل ، به

يشره الله عز وجل ، وبه يأتي الفرج .

١٢١ - وفيها (١٩) : "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ

إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" يا ليت الشباب الذي يقود

السيارات يحفظ ويعي هذه الآية ، ويا ليت الذين يرفعون أصواتهم

منكرة يعلمون أن أصوات الحمير منكرة ، وزكى النفس من الناس

ليس من الحمير

١٢٢- وفي سورة الأحزاب الآية (٣٣) : "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" بعد الأمر بعدم التبرج ، وبعد الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يأتي الأمر بطاعة الله ورسوله ، وميادين الطاعة فسيحة ، وخص بالذكر ما كان من أمر قبله لشرفه وأهميته ، ولعلك تلاحظ أن تطهير الله تعالى لآل بيت حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان وفق منهج ، أى ليس منحة خاصة ، فهم أولى الناس باتباع سيد الناس صلى الله عليه وسلم .

١٢٣- وفيها الآية (٥٣) : "فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا" الأمر بالانتشار بعد الطعام من السلوك الزكى ، أما الأكل والبقاء عند الداعى مدة بلا داع فليس من سلوك المسلم الزكى

١٢٤- وفيها الآية (٧٠) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" تحرى القول السديد الهادف من منهج الإسلام فى تزكية النفوس ، لا الهزل والاستخفاف

١٢٥- وفي سورة سبأ الآية (١٥) : "كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ" لا بد من شىء بعد الأكل ، وأهم ما بعده شكر المنعم عز وجل

١٢٦- وفي سورة فصلت (٦) : "فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ" منهج الإسلام يتطلب الاستقامة .

١٢٧- وفيها الآية (٣٤) : "أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ولن يبلغ ذلك إلا زكى النفس أو طالب الوصول لكن الذى يقول سوءا لمن قال له ما فيه لبس ويقول الأسوأ لمن قال له سوءا فذلك أرعن

١٢٨- وفي سورة الجاثية (١٤) : "قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" الأمر بالمغفرة خصوصا للذين لا يرجون أيام الله والجاهلين والذين لا يعلمون ، والرفق بالضعيف ، والناس جميعا ، من تزكية النفوس .

١٢٩- وفي سورة الأحقاف (١٥) : "وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" سؤال الله تعالى أن يصلح فى الذرية معناه أن الذرية صارت ظرفا للإصلاح ، مهم هذا الدرس ، فمعظمنا لا يصلح فى أولاده بناء على هذا الفقه ، إذا أصلح الرجل فى أولاده كان معناه أنهم ساحة لعمله ، وجهده واجتهاده ، قال النبى صلى الله عليه وسلم للشباب الذى جاءه راغبا فى الجهاد : أحى والداك ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : ففيهما فجاهد ، رواه البخارى

معنى ذلك أن الوالدين كذلك ظرف للجهاد فكيف يكون ذلك ؟

١٣٠ - وفي سورة الحجرات (٩) : "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " الأمر بالإصلاح بين الناس أمر بتزكية النفوس وإزالة ما يلحق بها عند الخصومة ، ونحن في الصلح نحتاج إلى القسط ، وهو إزالة الظلم ، أقسط : أزال الظلم ، لأن المعهود في الصلح بين الناس أنه كلام دون إزالة أسباب الخصومة

١٣١ - وفيها الآية (١٢) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ " لا تزكى نفس والظن يسكنها ، هناك ظن حسن وهو واجب ، وهناك ظن مرضى ويجب التخلص منه .

١٣٢ - وفي سورة الحديد الآية (٢١) : "سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " أهل التزكية يتسابقون إلى مغفرة الله بعمل الخيرات ، وغيرهم في سباق إلى جهنم

١٣٣ - وفي سورة المجادلة (٩) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرُّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " ليس زكى النفس من

يهمس في أذنك ساخرا من أحد : انظر إلى قصره ... هاهما ، إلى حدائه إلى لون قميصه ، وليس من التزكية أن يهمس في أذنك : أين سنسهر الليلة ؟ وليس من التزكية أن يناجيك بمعصية ، إن كان لابد من التناجى فليكن بالبر والتقوى ، كلمة في أذنك : هذا يستحق الصدقة ، أين نصلى العشاء الليلة ...

١٣٤ - وفيها الآية (١١) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ " من آداب المجالس أن يجلس الإنسان حيث انتهى به المجلس ، وأن يتفسح في المجالس ، وهذا معناه أن أماكننا واسعة ، وهذا معناه تجنب الإساءة والعدوى وكل ما يسبب ضررا للناس

١٣٥ - وفي سورة الحشر الآية (١٨) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " زكى النفس من ينظر نظرة ممتدة يقدم من دنياه لأخراه ، ومن يومه لغده ، حتى في النفقات يحسب حساب النوائب ، أما الأحق فهو الذى يقول : أحيى اليوم وأمتنى غدا

١٣٦ - وفي سورة الجمعة (٩) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " والخير كما علمنا ربنا تعالى يشمل بلا

شك تزكيتنا ، ومن التزكية أن نسعى لذكر الله يوم الجمعة ، وأن نذر حركة الحياة من أجل هذا الذكر ، لن تجد زكيا وهو تارك للصلاة مفارق للجمع والجماعات .

١٣٧- وفيها الآية (١٠) : "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" أمر بالانتشار في الأرض بعد قضاء الصلاة ، وطلب فضل الله وذكر الله كثيرا ، فليس من التزكية أن تعتكف في المسجد بعد قضاء الصلاة ووراءك من الأعمال ما يطلبك ، وأنت في حاجة إليه وأمتك في حاجة إليه

١٣٨- وفي سورة التغابن (١٦) : "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" قال الله عز وجل : "فاتقوا الله ما استطعتم" وكثير من الناس يفهم ما استطعتم على أنها أقل شيء ، والحق انها عظيمة ، وميزان الاستطاعة قد يكون عاليا جدا ، إن الشاب يستطيع أن يبذل جهدا كبيرا ، ومن الشيوخ من يبذل جهدا أكبر من جهد الشباب ، لكن بعض الشباب يكسل ، وبعض الشيوخ كذلك يكسل وهو قادر

عبد الله بن عمرو كان صريحا صادقا حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : لكنني أستطيع ، وراعى النبي مستقبله ، ورغب في استمراره على الطاعة ، فنهاه عن صيام مستمر كل يوم ، رغب له أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ،

والقضية لها بعد آخر ، فوراءه بصفته شاب أعمال قد يقعه الصوم عن القيام بها أو عن إتقانها

١٣٩- وفي سورة الطلاق الآية (٦) : "أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ" عودة إلى التزكية في مجال الأسرة ، وعدم التضيق على المرأة

١٤٠- وفي الآية (٧) : "لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ

رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ" الأمر بالإنفاق من السعة لمن وسع الله عليه من تزكية النفوس ، وكم من موسع عليه بخيل ، والبخل ليس من التزكية ، فأى داء أدوأ من البخل

١٤١- وفي سورة التحريم (٨) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا" من أهم ما يزكى العبد به نفسه أن يتوب إلى الله توبة نصوحا يعزم فيها على عدم الرجوع إلى الذنب أبدا ، فإن وقع فيه غير عازم عليه رجوع

١٤٢- وفي سورة المزمل الآية (٢٠) : "فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۚ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ

النهى المتصل بتزكية النفوس

تتنوع الأساليب في الخطاب الديني ، بين الخبر والإنشاء ، ومن الإنشاء النهى ، وأداة النهى "لا" تكون مشتركا بين العبادة والسلوك ، وقد رأيت أن هذا الأمر بالغ الأهمية ، ولنقرأ من الجوامع قول الله تعالى في سورة الأنعام الآيات (١٥١-١٥٣) : "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾"

فقد اشتملت الآيات على النهى عن الشرك أصل الموبقات وأولها ، ثم جاء النهى بعد ذلك عن أمور تتصل بتزكية النفس :

- عن قتل الإنسان ولده من إملاق ، أى من فقر ، فالله يرزق الوالد والولد ، وهذا يزكى النفس الأمانة بالسوء ، ويرتفع بها من خوف

يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ " ، مرتان : "فاقرأوا ما تيسر من القرآن" ، و "فاقرأوا ما تيسر منه" لماذا ؟ لأن منكم المريض ، ومنكم الضارب في الأرض فلا تكن مثل هذا الشاب الذي اعتكف على المصحف وأمه العجوز تبيع وتشتري وتطعمه

١٤٣ - وفي سورة المدثر الآيتين (٥٤) : "وَيْثَابَكَ فَطَهَّرَ ﴿٥٤﴾ وَالرُّجْزَ

فَاهْجُرْ" تزكية للبدن بطهارة الثوب وللنفس بالبعد عن المعاصي .

١٤٤ - وفي سورة الضحى (١١) : "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" الأمر

بالتحدث بالنعمة يشيع السرور ويؤنس الناس ويقتضى الشكر والإنفاق

١٤٥ - وفي سورة الشرح (٧) : "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" زكى النفس

من إذا فرغ من عمل استأنف غيره ، حال مرتحل في التلاوة ، مسافر مقيم في العمل ، غادر رائج في الطاعات ... وهكذا

١٤٦ - وفيها الآية (٨) : "وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ" إلى ملاذها ، ومنتهى

رغبة الزكى الله عز وجل .

حيواني إلى اطمئنان إيماني ، لأن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ، وعلى الله وحده رزق العباد ، فلم يقتل بعضنا بعضا خصوصا أبناءنا

- وعن قرب الفواحش ما ظهر منها من الفواحش المعروفة ، ومنها رفع الصوت بلا ضرورة ، وما بطن من جميع أمراض القلوب من الحسد والحقد والسواد والأناثية والكبر وغيرها

- وعن أكل مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن ، بأن يكون الوصى فقيرا ، أما إذا كان غنيا فليستعفف قال تعالى في سورة النساء الآية (٦) :
" وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ " ^ج

- وعن تتبع السبل فتفرق بنا عن سبيل الله

ونحن إذا استقرأنا القرآن الكريم وجدنا النهى المتصل بتزكية النفوس عظيم الانتشار فيه :

١- يقول تعالى في سورة البقرة الآية (١١ و١٢) : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ " والنهى عن الفساد في الأرض لتزكية النفوس ، وهى من مقاصد البعثة ، بعثة الرسل جميعا عليهم السلام ، ألا ترى إلى قول شعيب في سورة الأعراف الآية (٨٥)

: " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا " وما يتصل بقضية الفساد في الأرض أمران :

الأول : أن الله عز وجل نهى عن الفساد في الأرض قبل الدعاء ، قال عز وجل في سورة الأعراف الآية (٥٦) : " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " ، فقدم النهى عن الفساد في الأرض قبل الدعاء ، الأمر الذى يعد من فقه الدعاء في الدين ، قل للمفسدين في الأرض : تخلوا عن الفساد ، وادعوا ربكم تضرعا وخيفة ، فإن رحمت الله قريب من المحسنين ، ولن تكونوا محسنين إلا إذا تخليتم عن الفساد

والثانى : أن الناس في مجال تزكية النفوس يتبادلون التهمة ، ألت ترى رجلا يقول لرجل : أنت قليل الذوق ، فيرد عليه قائلا : ما قليل الذوق إلا أنت ، وبناء عليه يجب أن يكون هناك ضابط جامع لقلّة الذوق حتى نعرف من منهما قليل الذوق ، وقد جاء ذلك في كتاب ربنا عز وجل حيث قال الملائكة من قوم فرعون له ما ذكره لنا ربنا تعالى في سورة الأعراف الآية (١٢٧) : " وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكْ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ " فتهمة الفساد في الأرض موجهة من قبل المفسدين إلى رسول رب

العالمين ، ومعاذ الله أن يكون من بعثه الله من أجل الإصلاح من المفسدين ، وعليه فمن قال لأخيه الذي اتهمه بقلّة الذوق : ما قليل الذوق إلا أنت ، ننظر فيهما لنعرف أيهما على صواب ، ولن يتأتى ذلك إلا بمعرفة الذوق حقيقته ومقتضاه ، لأن ذلك سبيلنا إلى الحكم وفي ضوء الكتاب العزيز نجد أن الإفساد في الأرض يتحقق في صور كثيرة أهمها :

- إهلاك الحرث والنسل : "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ"
 - والسرقة

- وقطع الطريق : "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"

- وإراقة الدم : "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"

- وادعاء الألوهية : "ءَالَتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"

- والطغيان : "الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۚ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ"

- بخس الناس أشياءهم : "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"

٢- وفي سورة البقرة الآية (٤٢) يقول الله تعالى : "وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" انظر إلى هذا النهي المتصل بالقضية ، وكيف أن كثيرا من الناس يكتمون الحق وهم يعلمون ، من أول أبى جهل الذي يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب قط ، ويكتم ذلك ويحاربه إلى أم فلان التي تعلم صدق زوجها ، وتقول كذاب ، والعامل الذي يعلم صدق صاحب العمل ويتهمه بالكذب

٣- وفي الآية (١٦٨) : "وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" ، وفي تفصيل العداوة يقول ربنا تعالى : "إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" ، والثلاثة : السوء والفحشاء والقول على الله بما لا يعلم مما يتصل بتزكية النفوس ، فالنفس الزكية تعرف الحسن الذي يقابل السوء ، وتعرف المعروف لا الفحشاء ، وتعرف العلم لا الجهل .

٤- وفيها الآية (١٨٨) : "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" ، ولا يخفى ما بين المال وبين تزكية النفس وخبثها من

علاقة ، فزكى النفس يقبل الحلال ، وخبيثها لا يعنيه حلاله من حرامه ، وقد روى البخارى فى صحيحه أن رجلا باع دارا فوجد الذى اشتراها فيها كنزا ، فرده إلى بائعها ، فقال بائعها : إنما بعت الدار بما فيها فهو لك ، وقال الذى اشتراها إنما اشتريت منك دارا ، لا دارا وكنزا ، فلم يجد القاضى الذى حكم بينهما حلا إلا أن يسأل أحدهما : ألك غلام ؟ قال : نعم ، والآخر : ألك جارية ، قال : نعم ، قال : أنفقا على زواجهما منه وما بقى فتصدقاه

وروى كذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه : ما أتاك من هذا المال دون إشراف نفس فخذ ، وفى رواية يبارك لك فيه .

والنبى صلى الله عليه وسلم يجد ثمرة على سريره فيقول : لولا أننى أخشى أن تكونى من الصدقة لأكلتك .

ويأخذها من فم سبطه الحسن ، ويقول أما علم هذا أن آل محمد لا يأكلون الصدقة

وأبو بكر رضى الله عنه يرجع من بطنه ما شرب من لبن ناقة كانت من إبل الصدقة ، والجميع يحفظون أن الرجل تكون اللقمة فى بطنه من حرام فلا يستجيب الله دعاءه ، فما بالناس بمن عيشه كله من حرام ، والحرام يذهب بركة الحلال

٥- وفيها الآية (١٩٠) : "وَقَتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" حتى فى الأمر بقتال الذين يقاتلوننا ينهانا ربنا عز وجل عن الاعتداء والمبالغة فى القتل وإراقة الدماء ، نفوس يجب أن تكون زكية حتى فى رد العدوان ، وردع المعتدين .

وفى ساحة القتال جاءت وصاياه صلى الله عليه وسلم ألا تقتل امرأة ولا طفل ولا شيخ كبير ، وألا تحرق شجرة ، وألا يتعرض عابد إلى عدوان ، وألا تهدم صومعة

٦- وفيها الآية (٢٢٢) : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" فتأمل قول الله تعالى : "ولا تقربوهن حتى يطهرن" ، وعلاقته بتزكية النفس فى هذه العلاقة بين الزوجين ، وفى فترة الحيض يعتزل الرجل مباشرة زوجته دون سواها من مشاركتها الطعام والشراب ، ويجوز له أن يستمتع بها دون أن يقترب من موضع الحيض ، لأنه أذى ، وكل أذى تأباه النفس الزكية

٧- وفيها الآية (٢٣١) : "وَلَا تُسْكَوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُواْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا"

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يُعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" فانظر إلى
قوله تعالى : "ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا" كيف يزكى تلك
النفوس التي اعتادت الظلم خاصة زمان الجاهلية حيث كانت المرأة
تحت طائلة ظلم عظيم تمثل في صور متعددة أهمها :

- وأدها طفلة
- وتزويجها دون استشارتها
- وتطليقها ظلما وإطالة مدة عدتها
- والإمساك بها ظلما من أجل الاعتداء عليها
- وعدم توريثها
- واعتبارها من جملة المواريث ... وغير ذلك

واليوم ما زال فينا من يهتف في وجه زوجته قائلا لها : سأظل هكذا
حابسك حتى تكوني كالبيت الوقف ، لا زوجة ولا مطلقة

٨- وفيها الآية (٢٣٢) : "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَلَا
تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ
يُوعِظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَمْ أَزْكَى
لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" وتأمل قوله تعالى : "ذلكم
أزكى لكم" إن عضل الولي ظلم ، كما أن مطل الغني ظلم ، والتزكية
تقتضي رفع الظلم .

قال أخوها : لن أزوجك إياها ، وذلك لأنه زوجه من قبل إياها ،
فطلقها ، وانقضت عدتها ، وجاء زوجها مع الخطاب ، ورضيت
بالعودة إليه ، ولكن أخاها أبى ، فنزلت الآية فرضى .
نعم أزكى لنا أن يجمع الشمل من جديد ، وألا تنتقل إلى زوج جديد لا
يعلم إلا الله كيف تكون معه ، وكيف يكون معها .

٩- وفيها الآية (٢٦٤) : "يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ
فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۚ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا
كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" أزكى إنسان هو الذي
ينفق ولا يمن ولا يؤذى من يتصدق عليه ، وتأتى تزكيته من قبل فقهاء
حيث إنه ينفق لوجه الله .

أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يبقى بلال معه في المدينة حين عزم على
الخروج إلى الشام بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق
الأعلى ، فقال له بلال : إن كنت قد أعتقتني لنفسك فامنعني ، وإن
كنت قد أعتقتني لوجه الله فدعني أذهب حيث شئت ، فقال : والله لله
، واذهب حيث شئت .

١٠- وفيها الآية (٢٦٧) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبِيبَتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ" وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" ومع كون رائحة النهى للعبادة إلا أنه فيه من التزكية ما فيه ، بدليل قوله تعالى : "ولستم بآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ" جعله محلا للإغماض ، أى أن زكى النفس هو الذى يعطى ما يجب أن يأخذ ، أما خبيث النفس فهو يعطى الردىء ولو عرض عليه ليأخذه ما أخذه إلا على مشقة ، بأن يتغاضى عنه ويغمض فيه عينيه

التزكية حيث تبادل الرضا بين الأخذ والعطاء ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن أتاه يسترخصه فى الزنا : ما لا تحبه أو ترضاه لأملك وأختك لا يرضاه الناس لأمهاتهم وأخواتهم

١١-١٥ : وفيها فى الآية (٢٨٢) : "وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ" ، و "يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا" ، و "وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا" ، و "وَلَا تَسْعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ" ، و "وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ" ، فى آية واحدة تواتر النهى المتصل بتزكية النفوس وله علاقة بالمال كما ذكرت

١٦- وفيها الآية (٢٨٣) : "وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ" وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ" ، وكيف يكون آثم القلب زكيا ، ومن الناس إلى اليوم من يكتُم الشهادة خوفا ورهبا وإبقاء على العلاقات ، وهذا ليس من تزكية النفوس .

١٧- وفى سورة آل عمران الآية (١٣٠) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" تأكيد للمعنى الذى وفقنا الله تعالى إليه هنا ، وهو أثر الأموال فى تهذيب النفوس وتزكيتها ، فإن من زكت نفسه ينأى عن الظلم فى المال وغيره ، والربا عين الظلم ، لذا قال الله تعالى فى سورة البقرة الآية (٢٧٩) : "فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ" ، وقد أحل الله تعالى البيع وحرم الربا ، فمن تزكية النفس أن يسلك بها صاحبها سبيل الحلال ، وألا يسلك بها سبيل الحرام

١٨- وفيها الآية (١٣٩) : "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ" إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ" نهى عن الوهن والحزن ، مما يزكى النفوس ، يجمع معنى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم الصحيح : "عجبا

لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " هذه آية النفس الزكية ، عرفت فلاحا قديما ، كان من عادته أن يأتي بأطيب ما عنده لضيفه ، وذات يوم زاره من اعتاد زيارته أيام السرور ، وكان في زرعه بعض عطب أصابه بخسارة ، فقدم إليه ما كان يقدم ، فتعجب الرجل وقال له : كأن شيئا لم يحدث لك ؟ ، فأجابه الفلاح بقوله : وماذا حدث لي كفى الله الشر ! ، قال : يقولون أصابك وأصابك ، قال : أعوذ بالله ، إن الناس يبالغون إنني والحمد لله في نعمة ، قال الضيف : وما هذا العطب ؟ ، قال : بسيطة يجب أن نتذكر ما كان من نعم الله علينا ، مثل هذا العطب أصاب الزرع أيام أبي ، مر على ذلك ثلاثون عاما ، فما أطيب هذا العطب الذي زارنا بعد هذه السنين الطويلة ، زارنا عطب في زرعة ، ونحن على استعداد لقبوله في زرعتين ، بل في خمس ، لكن ليس أكثر من هذا وأخذ يضحك ويقول : والله نحن في نعمة ، ثم دعني أقول لك : إنه والحمد لله لم يصب ماءنا الذي نشربه من تلك الأرض ، فما زال قراحا جميلا ، ولم يصب والحمد لله تلك الشجرة العتيقة التي تظلنا ، ولم يصب والحمد بهائنا ، صحيح أنها تتأثر هي الأخرى بمرعاها ، لكن لها حظها من العلف وهو كثير ، ولم يصب والحمد لله أنفسنا وأولادنا فنحن في صحة وعافية ، ولم يصب والحمد لله دارنا التي نسكنها

وأخذ ذلك الفلاح يعد من نعم الله السابقة والباقية في زمان العطب الكثير ، الأمر الذي جعل ضيفه يأكل ويشرب ، وفوق ذلك كله ينشرح صدره ، حتى إنه قال له : لقد جئت من أجل عزائك ، فزدتني أنت إيمانا .

ولقد رأيت أن مثل هذه الكلمات تصلح أن تكون ورقة عمل من الواقع تصلح في مجال الدعوة والإرشاد ، فإن كثيرا من الناس إذا أصيبوا بشيء وهنوا ، وقتلهم الحزن ، وظنوا أنهم في ابتلاء عظيم ، وأن ما بهم من نعم كثيرة لا يسد مسد شيء ابتلوا به ، وبشرهم الله عز وجل بخير منه ، إن هم صبروا ، وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون إن لدينا عجزا في إيماننا إذا ابتلينا بشيء علاجه في مثل هذا الذي ذكره الفلاح القديم ، أن نتذكر ما نحن فيه من نعم سلمت من الابتلاء

١٩ - وفيها الآية (١٩٦) حيث يقول ربنا تعالى : "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ" ، ثم يبين لنا تعالى الوجه الذي يجب أن ننظر إليه في الآية بعدها : "مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" ، إن غياب هذا الوجه خطر على الناظرين الذين ينظرون إلى تقلب الذين كفروا في البلاد وتقدمهم ، وغلبهم أحيانا وتمتعهم بزينة الحياة الدنيا ، الأمر الذي يخيل لهؤلاء الناظرين أن ذلك يدوم ، والحقيقة أنه متاع قليل ، ولكن ماذا بعده ؟

إن بعده جهنم ، هي مأواهم وبئس المهاد ، والتقلب في البلاد :
التصرف فيها كيف شاءوا ، هكذا قال ابن منظور في لسان العرب
(ق ل ب) ، ولا يعنى هذا أن المؤمنين قدر لهم أن يعيشوا محصورين ،
أو في الطبقة الثالثة من الدنيا ، فإن نصر الله حليفهم متى نصروا دينه
، وقد من الله تعالى على المؤمنين فكثرتهم وآواهم وأيدهم بنصره
ورزقهم من الطيبات

إن مما يزكى النفس : النظر إلى العواقب ، ومن ثم قال الله عز وجل في
الآية (١٩٨) : "لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْآبَرَارِ" ولا يعنى هذا أيضا أن للمؤمن الآخرة دون الكافر ، أما
الدنيا وما فيها فحرام على المؤمن ، إنما للمؤمن الدنيا إذا سلم قلبه
فيها ، وله الآخرة بفضل الله عليه ورحمته ، ومن ثم قال الله عز وجل
في سورة الأعراف الآية (٣٢) : "قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ
لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"
، فقول الله عز وجل "خالصة يوم القيامة" معناها أن الطيبات
خالصة يوم القيامة للمؤمنين ، لكنها في الدنيا مشتركة بينهم وبين
غيرهم من خلق الله

٢٠- وفي سورة النساء نجد فيها كثيرا عما يتعارض وتزكية النفس ،
وإليك البيان :

يقول تعالى في الآية (٢) : "وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ" في سياق
الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم ، فصدر الآية : "وَأَتُوا الَّتِي تَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ"
"إن أكل مال اليتيم خبث ، فلندعه ولنأكل الطيب من أموالنا

٢١- "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ" نهى عن أكل مال اليتامى
مع أموالنا وضمها ظلما وعدوانا نهى إثر نهى ، وكأن هذا النهى يفسر
معنى النهى عن تبدل الخبيث بالطيب ، والباء كما يقول العلماء داخلة
على المتروك ، أى لا تتركوا الطيب وتأخذوا الخبيث

٢٢- وفيها الآية (٥) : "وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا" ، وفي ذلك تزكية نفس الوصى والحرص على مال
اليتيم كأنه ماله هو ، وتزكية لنفس اليتيم حيث يربح ماله ويشمر .

٢٣- وفيها الآية (٦) : "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا"
نهى عن انتهاز فرصة صغر اليتيم لأكل ماله ، وكم من يتيم ضاع
ماله وهو صغير بقطعة حلوى ، ضحك بها وليه عليه ، وأكل ماله

٢٤- وفيها الآية (٢٠) : "وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَارَ
زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَنًا وَاتِّمَاءً مُّبِينًا" وتأمل كيف جاء الاستفهام الإنكارى

"أأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً" بعد النهي عن أكل صدق النساء عند طلاقهن ، وكم في الناس من ظالم لمطلقته ، ومنهم من يقسو عليها لتقول : حقى برقتى ، وتطلب الخلع وتتنازل عن حقها ، وليس هذا من التزكية ، وكيف يكون ذا نفس زكية من انتصر على زوجته بظلمه فأكل حقها ثم حج واعتمر وتصدق

وفي حديث البخارى وغيره يقول النبى صلى الله عليه وسلم : على كل مسلم صدقة ، فلما قيل : فإن لم يجد يا رسول الله ؟ قال : يعمل ، ما قال يسرق ويتصدق ، أو يظلم الناس ويتصدق

٢٥- وفيها الآية (٢٢) يقول ربنا تعالى : "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا" ، فانظر إلى العلة التى تأنف منها النفوس الزكية ، الفحش والمقت وسوء السبيل فى أن يتزوج الإنسان أرملة أبيه أو مطلقة

٢٦- وفيها الآية (٢٩) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ" نهى عن أكل الأموال بالباطل ، وما أكثر النهي عنه فى الكتاب العزيز

٢٧- وفي نفس الآية يقول ربنا تعالى : "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" ، من قتل نفسه بشىء جاء معه يوم القيامة ، ومن تعجل موته لجرح أصابه فى المعركة أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى النار ، وما أكثر صور الانتحار

بل إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تمنى الموت

٢٨- وفيها الآية (٣٢) : "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" إن من أطيب ما يزكى النفوس ألا يتمنى أحد ما فضل الله

به غيره عليه ، والباب مفتوح ، حيث قال تعالى : "وسئلوا الله من فضله"

إن لدينا نفوساً مريضة بتمنى ما عند الناس :

لو كانت هذه زوجتى

لو كان هذا الولد ولدى

لو كان هذا البيت بيتى

لو كانت هذه الحديقة حديقتى

لو كانت هذه السيارة سيارتى

سيموتون بالغيظ ، ويحسدون الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله

وقد جاء في الصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"

٢٩- وفيها الآية (٣٤): "فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا"

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا" نهى عن البغى ضد المرأة التي أطاعت بعد الوعظ والهجر والضرب الذى هو للتأديب ، إن النفس الخبيثة لا يرضيها أن يطيع العاصي ، ولا أن يتوب الآثم ، أما النفس الزكية فيرضيها أن يصلح المعوج ، وأن يتوب العاصي والله عز وجل يقول : "فلا تبغوا عليهن سبيلا" يدل على أن هناك سبلا للبغى منها :

- التقدير في النفقة
- والتمادي في الضرب والهجر
- والتذكير بما كان من بؤادر النشوز
- والتهديد والوعيد

٣٠- وفيها الآية (٩٤): "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ

لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ" قال أسامة للنبي صلى الله عليه وسلم في رجل قتله بعد نطقه بالشهادتين : قالها خوفا من السيف ، وبرئ من ذلك صلى الله عليه وسلم وقال : ماذا تفعل في لا إله إلا الله ؟

وكان ذلك سببا في نزول الآية ، وهى عامة ، تزكى النفوس ، حيث تقبل الظاهر ، ولا تكلف نفسها شططا في البحث عن الباطن وكم من إنسان يظن أن الناس كاذبون ، وأن سلامهم من تحت الضرس ، وأنهم مداهنون

٣١- وفيها الآية (١٢٩): "فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا" قال تعالى : "فلا تميلوا كل الميل" إن من التزكية أن يبقى عندك شيء حتى في سياق الكره ، قد يتزوج الإنسان بأخرى غير زوجته فيميل كل الميل في مجالات شتى ، وتزكيتة بعدم ميله كل الميل ، الأمر الذى يجعل إحداهن كالمعلقة

إن القسمة بين الزوجات واجبة ، والميل القلبي ليس يؤاخذ عليه الزوج ، فالقلوب بيد الله عز وجل ، ولكن عليه أن يعطف على المكروهة بحيث لا يذرها كالمعلقة .

٣٢- وفي سورة المائدة الآية (٢) يقول ربنا تعالى : "وَلَا تَجْرِمَنكُمْ

شَنَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا"

٣٣- وفيها الآية (٨) يقول الله تعالى : "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَّانُ

قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" هاتان الآياتان من أهم الآيات في تزكية

النفوس ، حيث عزل الشنآن وهو منتهى البغض عن الأحكام ، إن النفس التي لا ضابط لها إذا أحبت أكرمت ، وإذا بغضت أهانت وظلمت

أما النفس الزكية فلا تحكم الهوى ، ولا تحكم به ، روى أن أبا مريم السلول قال لعمر رضى الله عنه : أكرهك لى لأنى قتلت أخاك زيدا يجعلك تظلمنى ؟ فقال عمر : لا ، قال : إنما يبكى على الحب النساء وفيما تلك الآفة التي يجب أن نتخلص منها ، آفة الإساءة عند البغض ، وهى تتنافى ومبادئ الدين التى أرساها من أجل تزكية النفوس

٣٤- وفيها الآية (٢) : " وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " النفوس الزكية تتعاون على البر والتقوى ، فتزرع الأشجار وتشق الأنهار ، وتحبى الموات ، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، أما النفوس الدنيئة فتتعاون على الإثم والعدوان ، ينادى المرء بنداى الجاهلية ، فيجتمع إليه الناس ينصرونه ظالما بمزيد ظلم ، ومظلوما لا يبرد المظالم إليه ، ولكن بمزيد خسارة وعدوان

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى الأئمة ، ومنهم البخارى : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " ، فقال الصحابة الأخيار : عرفنا كيف ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ فأجب صلى الله عليه وسلم بقوله : تمنعه عن الظلم .

هذه نصرة النفس الزكية تأبى الظلم وتأنف منه ، ولا تدعو إليه ولا تشجعه

٣٥- وفيها الآية (٨٧) : " وَلَا تَعْتَدُوا " نهى كذلك عن الاعتداء وهو شائع فى كتاب الله الكريم وقد بيناه

٣٦- وفيها الآية (١٠١) : " يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ " ، إجماع أهل العلم على أن السؤال إن كان للتعلم فهو واجب ، وإن كان للاستزادة من العلم أو للتوضيح ونحو ذلك فهو كذلك ، أما إذا كان للمرء والجدال وإغضاب العالم فلا يجوز

وهذا من تزكية النفوس بمكان ، والقرآن حافل بأسئلة وجوابها عن الخمر والميسر والحیض ، وعن اليتامى والأطفال وغير ذلك ، وعن الحلال والحرام ، أما أن يسأل الإنسان سؤالا يكون فى الجواب عنه إساءة له فلا يحسن ذلك ؛ لأن هذا الدين دين الحسن لا السوء

سأل عبد الله بن حذافة رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبى ؟ فقال له : أبوك حذافة ، وقالت له أمه حين علمت بسؤاله كما ذكر ابن عبد البر : بسئال ابن أنت ، أأمنت أن أمك لم تخطئ فى جاهليتها ؟ يعنى لو أن عبد الله بن حذافة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه فأخبره بأن أباه رجل آخر غير حذافة فماذا كان سيقول لأمه وقد فضحها بين الناس

٣٧- وفى سورة الأنعام الآية (١٠٨) : " وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا

لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
" نهى عن سب الذين يدعون من دون الله أولياء وشركاء لأن ذلك

يترتب عليه أن يسب هؤلاء ربنا تعالى عدوانا وظلما

والمسلم كما جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ، إن من تزكية النفس أن يعف اللسان عن السب لما يترتب عليه من سب لا يطاق لا سيما سب الكافرين رب العالمين عدوا بغير علم لما زين لهم من حب آلهم

٣٨- وفيها الآية ١٤١ : "وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

" والنهى عن الإسراف متكرر في القرآن الكريم ، ومنهج الإسلام في تزكية النفوس قائم على الاعتدال في كل شيء ، قال الله تعالى في سورة الفرقان الآية (٦٧) : "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"

٣٩- وفيها الآية (١٥٠) : "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا

بَيَّاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

⑤ " النهى عن اتباع الهوى من أجل تزكية النفوس ، لأن اتباع الهوى لا يأتي بخير ، وتحصيل الخير بغية النفوس الزكية ، والبعد عن ضروب الشر ودروبه من شوائبها

٤٠- وفيها الآية (١٥١) : "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي

٤١- وفي نفس الآية : "وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"

٤٢- وفي نفس الآية : "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ"

٤٣- وفيها الآية ١٥٢ : "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"

٤٤- وفيها الآية ١٥٣ : "وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ"

٤٥- وفي سورة الأعراف الآية (٣) : "وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ" أهم أركان تزكية النفس ارتباطها بخالقها واتباع وحبه وتعاليم دينه ، من استمسك بحبله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

٤٦- وفيها الآية (٢٧) : "يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ" والنهى هنا جامع مانع ، حيث إن فتنة الشيطان تجلب كل سوء ، وكل شر وكفى بجلبها غضب الله تعالى قبحا ، ما زكى الشيطان أحدا اتبعه ، عرض

على رجل الزنا والقتل والخمر ، فلما شرب الخمر ظانا أنها أهون زنا وقتل ، وفتنة الشيطان تطوع الصعب وتزين الباطل وتجمل القبيح

٤٧- وفيها الآية (٥٦) : "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ"

٤٨- وفيها الآية (٨٥) : "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ" فانظر كيف تكرر النهي عن الإفساد في الأرض

٤٩- وفيها (٨٥) : "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ"

٥٠- وفيها الآية (٨٦) : "وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا" نهى عن قطع الطريق وتهديد الآمنين وصد عن سبيل الله

٥١- وفيها الآية (١٤٢) : "وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"

٥٢- وفي سورة الأنفال الآية (٢٧) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" من منهج الإسلام في تزكية النفوس تربية الناس على الأمانة ، ونبد الخيانة ، فالله لا يحب الخائنين

٥٣- وفي سورة التوبة الآية (٥٥) : "فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ"

٥٤- وفيها الآية (٨٥) : "وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ" إنها القضية نفسها التي سبقت الإشارة إليها في قول الله تعالى من سورة آل عمران : "لا يغررك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد"

إن الإعجاب بأموال الكافرين وألادهم من الخلل الذي يتعارض وتزكية النفوس ، والنظر إلى الغاية والمآل مما يضبط هذا الخلل

٥٥- وفي سورة يونس (٨٩) : "قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا

فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" إن اتباع سبيل الذين لا يعلمون كارثة الكوارث ، فإن مآله إلى الدمار والهلاك ، والجهل عمى ، وكم أضل من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

٥٦- وفي سورة هود الآية (٨٤) : "وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ

وَالْمِيزَانَ" نهى عن بخس الناس أشياءهم عن طريق نقص

المكيال والميزان ، وفي كتاب الله عز وجل سورة اسمها "المطففين" صدرها : " وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ "

٥٧- وفي سورة يوسف الآية (٦٧) : " وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ " وعلاقة هذا النهي بتزكية النفوس أنه نهى عن الاستعراض الذى يشجع على الحسد ، والاستعراض بمثابة الإثارة كما يقول علماء الاجتماع ، كأنك بهذا الاستعراض تنبه الغافل وتثير الكامن

وهناك فرق بين إظهار النعمة من باب التحدث بها ، وبين إظهارها من باب الاستعراض وإغظة من هو دونك

فالأول مطلوب ، وعلامته أن المتحدث بنعمة الله تعالى متصدق مزك ، لم يحرم المساكين ولم يكسر قلوب الفقراء ، والثانى على العكس ، ولدينا آثار كثيرة تدل على أن النفوس الزكية لا تستعرض ، وأهم تلك الآثار أن أهل المدينة ما عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أبى بكر إلا بعلامة أن أبا بكر كان يظلل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا إنه هو الذى يظلل عليه صاحبه وأن المرأة التى لقيها النبى صلى الله عليه وسلم فى المقابر كما روى أحمد فى مسنده ، ذهبت إليه فلم تجد عنده بوابا

٥٨- وفيها الآية (٨٧) : " وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " آية الآيات فى تزكية النفس ألا تيأس من رحمة الله ونصره القريب ، وفى قصة يوسف نجد أن كل معطيات الواقع لا تبشر بخير ، غاب يوسف وانقطعت أخباره ، وطال زمان ذلك ، ولحق به أخوه ، وبرغم ذلك قال أبوه : " يَبْنَئِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " ، والله عز وجل عند ظن عبده به ، إن ظن به خيرا فهو خير ، وسوء الظن بالله من أكبر الذنوب كما ذكر ابن القيم ؛ لأنه يتنافى والإيمان بكمال صفات الله عز وجل

وأنا أرى أن حسن الظن بالله يكسب النفس زكاة وسموا ، لأن حسن الظن بالله متوقع كل خير ، منتظر كل فرج ، متطلع إلى كل مدد ، إنه ليس كرجل ينتظر فى الصحراء حيث لا طريق معبد ، ولا سكة حديد ، فسأله مار به قائلا : ماذا تنتظر ؟ قال : أنتظر القطار ، يتعجب المار إذ أى قطار ينتظر ، ولا سكة حديد هنا ، وهذا المار لا

يمكنه أن يعجب إذا سأله السؤال نفسه فأجابه : أنتظر فرج الله ونصره ، لأن فرج الله ونصره ليس يحول دونها مكان ولا زمان ولا سبب إنها (كذلك) ، التي تقبل ويرضى بها كل قلب إذا كانت تتعلق بالحق جل وعلا ، ولا تقبل من إنسان يعلقها بإنسان إلا إذا توفرت أسبابها محال أن تقبلها من مقاول بلا مواد بناء ولا عمال ، وقد اتفقت معه على أن يبنى لك بيتا ، فلما رأيته بلا مواد ولا أسباب سألته : كيف تبنى لي إذن ؟ فقال لك : كذلك ، عندئذ تقول له : أى كذلك ؟

٥٩- وفي سورة الحجر (٥٥) : "قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِئِينَ" لقد جاءت الرسل الملائكة إبراهيم عليه السلام ، وبشروه بغلام عليم ، فقال لهم : "أبشروني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون " فردوا عليه قائلين : "بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين" فقال عليه السلام فورا كما جاء في الآية ٥٦ : "قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ"

يعنى أنه عليه السلام ليس قانطا من رحمة الله ، وإنما قال ما قال لبيان منافاة حاله لتلك النعمة ، أى أنه تعجب بناء على المبنى على سنة الله تعالى المسلوكة ، لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته جل وعلا (روح المعاني ١٠٥/٩)

وهذا درس مهم يرفع اللبس خصوصا عن الأنبياء المكرمين المعصومين ، وخلاصته أن التعجب من سريان النعمة حيث تخلف سببها ليس قنوطا من رحمة الله ، وإنما هو استعظام لها

٦٠- وفي سورة النحل الآية (٩٤) : "وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" اليمين الكاذبة ونقض العهود

سبب في تحول الإنسان من الإيمان إلى الكفر ، وسبب في زوال النعمة ، وسبب في حصول العذاب

هكذا قال العلماء ، وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في ذلك منها ما رواه البخارى عن النبی صلى الله عليه وسلم أن من حلف بيمين كاذبة ليليقطع بها مال امرئ مسلم طوقه الله سبع أرضين

ومنها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة : ورجل عرض سلعته فأقسم أن عرض عليه كذا وهو كاذب ليغري بتلك اليمين المشتري الذى هو له مصدق مع أنه كاذب .

والدخل الكذب والشوائب ، ضد الصدق والإخلاص ، فمن تزكية النفوس أن يقسم الإنسان على الحق لا على الباطل

٦١- وفيها الآية (١١٦) : "وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" إن من منهج الإسلام

في تزكية النفوس تربيتها على تحرى الحق ، والاطمئنان إلى الدليل قبل

أن يقول المرء هذا حلال وهذا حرام ، وقد شاعت كلمة حرام على السنة كثير من الناس إلى درجة أن الرجل يقول لصاحبه إذا أكل رغيفا : هل أكلت الرغيف كله ؟ حرام عليك

والأم الشابة تقول لطفلها : حرام عليك ، وهو غير مكلف

وأصبح الحرام ينادى يا حرام ، فلم لا يقال : يا حلال ، والذين يفتون بغير علم يفترون على الله الكذب ، وغنى عن البيان ما جاء عن الأئمة في مظان تراجمهم أنهم كانوا يقولون : لا ندرى ، ومنهم مالك صاحب المذهب وغيره

وفي زماننا شهوة الفتوى التي باتت مأساة ، حيث صار كل متحدث مفتيا ، ولا بد من التصدي لذلك ، لوجه الله تعالى ، وإنقاذاً لهؤلاء من الهاوية ، وللناس من الضياع

٦٢- وفي سورة الإسراء الآية (٢٣) : "فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍ"

٦٣- وفيها أيضا : "وَلَا تَنهَرُهُمَا" وتزكية النفوس في بر الوالدين

تتفطر له الجبال الصم ، فلا يدخل الجنة عاق ، وهذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح يدل على تشديد الإسلام على هذه القضية ، وهي خطيرة ، وقد قرن ربنا تعالى البر بالوالدين بتوحيده عز وجل ، فالسياق يدل على خطورة هذا الأمر

ومما رواه المبرد في الكامل أن رجلا اسمه أبوذر دفن ولده ، فقال : اللهم اجعل ما قصر فيه من حقى عليه شفاعا لما قصر فيه من حقك

عليه ، فسأله الناس : كيف كان بره بك ؟ فقال : ما مشى نهارا إلا ورائي ، وما مشى ليلا إلا أمامي ، وما رقى سطحا وأنا تحته ، وما مد يديه إلى صحيفة خشية أن يكون بصرى قد سبق إليها ومع هذا قال : ما قصر فيه من حقى !

والقضية شائكة ، لأن الإسلام دين المعادلة ، ونحن في حاجة إلى تربية الوالدين كيف يكونان والدين رحيمين ، حتى يعينا أولادهما على البر

- لدينا معضلات في ظلم الأولاد ، وحديث النعمان بن بشير الذي رواه البخارى يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" ، ومن الآباء والأمهات من يؤثر ولدا على ولد ، ويزرع البغضاء في نفوسهم

- ولدنا أمهات تتدخل في حياة أبنائهن ، وتحول بينهم وبين زوجات لهم صالحات

- ولدنا آباء يستولون على أموال أبنائهم ظلما وعدوانا بحجة "أنت ومالك لأبيك" ولا يعنى هذا الحديث المرسل أن يستولى الأب على مال ولده ، وإنما معناه بلاغة ومبالغة في أن يرق الولد لوالده ، وأن يأكل الوالد من مال ولده ، إن كان محتاجا ، وقد بين ذلك في أحكام الشريعة

٦٤- وفيها الآية (٢٦): "وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا"، والنهي عن التبذير نهى عن السفه ، وهو عكس ما يفهم الناس ، فإنهم يفهمون أنه الإسراف ، وبينهما فرق ، فالإسراف مجاوزة الحد ، أما التبذير فوضع الشيء في غير موضعه .

٦٥- وفيها الآية (٢٩): "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا"، وما أعظم هذا النهى في تزكية النفوس حيث لا بخل ولا إسراف ، وهى تقاوم صرخة المثل السائد "اصرف ما فى الجيب يأتىك ما فى الغيب"

٦٦- وفيها الآية (٣٢): "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" تزكية للنفوس من آمن مكان ، حيث إن البعيد عن الطريق المؤدية إلى الزنا آمن من الوقوع فيه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، والنهى عن قرب الزنا نهى بالضرورة عن الزنا ، وفيه من تزكية النفوس ما فيه

٦٧- وفيها الآية (٣٣): "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا" الحد يقيمه السلطان لا الفرد ، والنفوس الزكية تألف النظام ، فلا تثار ولا مجاوزة لحدود الله ولا رقتين فى مقابلة رقبة ، فالنفوس بالنفوس ، وفى القصاص حياة

٦٨- وفيها الآية (٣٦): "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" تتبع أخبار الناس والتطفل ونزعة حب المعرفة من آفات العادات التى يجب أن يتخلص منها المسلم الراغب فى تزكية النفس ، فلا يتتبع أخبار الناس ولا يحاول أن يعرف المستور ، ولا يتجسس ، ولا يشتهى ذلك ليقف على الأخبار

لا يسأل عما لا يعنيه ، ولا ينطق بما لا يعنيه ، فهذا من سبل الإسلام فى تزكية النفوس

٦٩- وفيها (٣٧): "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا" إن المرح والتكبر والخيلاء من الرعونة لا من تزكية النفوس ، وفى حديث رواه أنس وهو مما جمع السيوطى فى الجامع الصغير يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أوحى إلى أن تواضعوا

ومن تواضع لله رفعه الله ، وقد بينت هذه الآية أن الإنسان مهما فعل فلن يخرق الأرض إن دب عليها ولن يبلغ الجبال طولاً إذا رفع رأسه عاليا عن تكبر

٧٠- وفى سورة الكهف الآيتين (٢٣ ، ٢٤): "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنْى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادِّكُرَ رَبَّكَ إِذَا

نَسِيتَ" تهذيب لكل نفس وتزكية لها أن تستثني فقولك : أفعل ذلك إن شاء الله دليل على التزكية ، وعدم الاستثناء غرور ليس من تلك التزكية

٧١- وفيها (٢٨) : "وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ" مجالسة الضعفاء والفقراء العابدين من هدى النبي صلى الله عليه وسلم في تزكية النفوس

٧٢- وفيها (٢٨) : "وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا" من صد عن دين الله وتعاليمه وآدابه واتبع هواه فلا وازع من دين يردعه ، ولا خوف من الله يحميه كيف تطيعه نفس زكية ، إن من منهج الإسلام في تزكية النفوس تربيته على معرفة الصاحب والجليس وأثر اختيار الرفيق والصديق فمجالسة فقير عابد خير من اتباع غنى فاجر اتباع هواه وكان أمره فرطاً ، كالشور الهائج الذي ليس له من حبل في رقبتة ، ولا داعي من أنسه يحجمه ويأتي به .

٧٣- وفيها الآية (٧٣) : "قَالَ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" أدب جم ، وسلوك عظيم الأثر أن يربينا ربنا على الاعتذار إذا أخطأنا ، من سلوك التحضر أن تقول : لا تؤاخذني بما نسيت ، ومن سلوك البدو أو التخلف أن تقول : ماذا

فيها ! كما ترى من كثير من الناس يقول الواحد فيهم : "وماذا فيها إن القيامة لم تقم ، والدنيا لم تتغير"

٧٤- وفي سورة النور الآية (٢١) : "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" والنهي هنا جاء في سياق حادثة الإفك ، ورمى المؤمنات المحصنات بلا دليل ، وهذا من اتباع خطوات الشيطان ولولا فضل الله علينا ما زكى منا من أحد أبدا .

٧٥- وفيها الآية (٢٢) : "وَلَا يَأْتَلِ أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" نهى عن معاقبة الذين أساءوا إلينا في رزقهم ، نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ، فقال : بلى أحب أن يغفر الله لى ، وأعاد إلى مسطح ما كان يعطيه قبل أن يتحدث في حادثة الإفك

إنها النفوس الزكية التى تعمل الخير لوجه الله تعالى ولا تنتقم لنفسها

٧٦- وفيها الآية (٢٧): "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" من إسلام السلوك آداب الزيارة ، وهي من التزكية العليا ، وقد تعود أناس أن يهجموا على بيوت غيرهم تحت حجة أنهم خليط ، وأنه لا فرق بينهم ، فاطلع على عورات ، وانتهكت حرمت ، وكان ما كان من سوء ، وإنما جعل الاستئذان من أجل النظر ، كما جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٧٧- وفيها الآية (٣١): "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" من تزكية نفوس النساء الاحتشام ومعرفة من يبدن زينتھن أمامه ، ومن ذكروا ليس

فيهم ابن العم ، ولا الجار الذي هو كالأخ ولا الزميل الذي هو أغلى من الأخ

٧٨- وفيها الآية (٣٣): "وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا" إن بمعنى قد ، فلا يلتبس المعنى بأنهن إن لم يردن تحصننا جاز إكراههن على الزنا ، وتربية الفتيات على العفة وصون فطرتھن من تزكية نفوسھن ، وكم من أم غافلة ، تظن تشجيعها ابنتها على التزين والتجمل والعري تسعى إلى تزويجها ، وكم من فتاة تريد أن تغطي رأسها وأمها تنهاها عن هذا قائلة : هذه ذقني لو تزوجت ، وهي تسأل عن حكم الشرع في ذلك ، هل تطيع والدتها وتعصى ربها ، أم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذا الأخير هو الجواب ، ولكن ما دمنا نتحدث عن تزكية النفوس فيحسن بنا أن نقول : لا بد أن تحاور البنت المستنيرة أمها حتى تقنعها بالصواب قائلة : يا أمي إن ألف باء في شرع الله هو ستر العورة ، والزواج الذي يحصل بسبب العري رعونة لا زواج ، وإعجاب بجثة لا رغبة في إقامة حياة ، وهكذا

فكم من قضايا علاجها بالحوار ، ولكننا في زمان ندعو فيه إلى الحوار ولا نحسنه

٧٩- وفيها (٥٣): "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ" إن من تزكية النفوس ألا يكون البر قسما وكلاما ، وإنما يكون البر طاعة وعملا على أرض الواقع لا مجرد كلام على صفحة الأوهام ، وكم من كلام جميل يغر ، ويضر لكن فعل الخير ينفع دائما

٨٠- وفي سورة القصص الآية (٧) : "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾" أتوقف عند هذه الآية وقد وفقني الله تعالى إلى صلتها بتزكية النفوس ، من حيث عدم الخوف ، والحزن مع أمر الله تعالى ، فما من أمر يأمر الله تعالى به إلا فيه الخير ، قال سبحانه في آية البقرة (٢١٦) : "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

٨١- وفيها الآية (٣١) : "يَلْمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" إنها القضية نفسها ، نهى عن الخوف لوعده الله عز وجل بأنه من الآمنين ، لدينا روايات كثيرة حول طلب متحدث الأمان من أمير حتى يقول كلمة ، يقول : هل تؤمنني يا مولاي ، فيرد عليه : لك هذا ، فيطمئن ، ويقول

فكيف يطمئن إنسان إلى وعد إنسان قد يخون وينسى وعده

وحملت الدراما هذا الحوار بين شابين بلا عقل ولا دين ، وهما في مستنقع الخطايا ، يدعو الشاب قرينته إلى الفاحشة ، فتقول له : عدني

ألا تتركني ، فيقول لها بعد صمت : أعدك ، وعندئذ تمكنه من نفسها ، وتهب لها عرضها ، وبعد ذلك تراه مع غيرها ، متخليا عن وعده لها ، والله عز وجل وعده الحق ، وعد المؤمنين بالنصر إن نصروا دينه ، ووعد المجاهدين بالأجر ، والصابرين بغير حساب ، والبائعين الصادقين بالربح فمن زكت نفسه اطمأن لوعده ربه ، ومن خبت تردد ، قال الله عز وجل : "يا موسى اقبل ولا تخف إنك من الآمنين" فأقبل موسى ، ونال الخير ، وكان من المرسلين ، واصطفاه الله تعالى برسالاته وبكلامه

٨٢- وفيها الآية (٧٦) : "إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" نهى عن البطر لا عن فرح السرور ، وانشرح الصدر بنعمة الله

٨٣- وفيها الآية (٧٧) : "وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" من أهم ما يحسن عنده التوقف من كتاب الله عز وجل ، إن تزكية النفس ليس معناها الحرمان من الدنيا ، وما عسى أن يكون هذا النصيب إلا الملبس الحسن والنعل الحسن ، والبيت الواسع ، والدابة المريحة والزوجة الحسنة العفيفة ، وطلب الذرية الصالحة وما يحقق للإنسان الراحة والسعادة ، وهو يختلف باختلاف العادات والبيئات ، فتح الله فلا يغلق أحد .

٨٤- وفي سورة العنكبوت الآية (٤٦) : "وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"

من تزكية النفوس في الإسلام حسن الحوار ، لا شيء في هذا الدين إلا وهو حسن ، حتى في الجدل ، لأن الله إذا أحسن إلى قوم رزقهم العمل ومنعهم الجدل ، والحوار طويل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل الكتاب لا تتسع له مجلدات ، ويكفي قول الله عز وجل في سورة آل عمران الآية (٦٤) : "قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" وانظر إلى المنهج العلمي القائم في الحوار ، حيث يقول تعالى في آل عمران الآية (٦٥) : "يَتَاهَلْ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" والذين تراهم اليوم يصرخون ويشتمون ويتطاولون في الحوار بعيدون عن هذا المنهج

٨٥- وفي سورة لقمان مبادئ في تزكية النفس تبدأ بالآية (١٣) : "يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" فتأمل العلة وهي إن الشرك لظلم عظيم ، الأمر الذي يؤكد أن التوحيد من تزكية النفس ؛ لأن النفس الزكية تبغض الظلم وتنأى عنه

٨٦- وفيها الآية (١٥) : "فَلَا تَطْغَوْهَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا" نهى عن عدم طاعة الوالدين الكافرين اللذين يأمران ولدتهما بالشرك وأمر في الوقت نفسه بحسن صحبتها في الدنيا والبر بهما ، وقد روى في الصحيح أن أم أسماء بنت الصديق رضی الله عنها جاءت رغبة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتصلها ؟ وكانت أمها مشركة ، فقال عليه الصلاة والسلام : صليها

٨٧- وفيها الآية (١٨) : "وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا" نهى عن تصغير الخد للناس كأنه ناقة مريضة بتلك العلة تكبرا وتعاليا ، ونهى عن المرح وقد سبق في آية الإسراء

٨٨- وفي سورة الأحزاب الآية (٥٣) : "يَتَاهَلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا" فتأمل النهى عن دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن للداخلين ، ثم انظر إلى قوله تعالى "إلى طعام غير ناظرين إناه"

إن من سوء العادات التي لا تزكى النفوس أن ينتظر الإنسان نضج الطعام عند صاحبه إلا إذا كان صاحبه يرغب في ذلك ، ولا يضايقه ذلك ، فإذا طعم المدعو انصرف بعد ذلك غير مستأنس لحديث كم يتسبب هذا السلوك في أذى كثير للناس ، حيث يركن المدعو بعد تناول الطعام إلى من دعاه ، فيحرج عليه واسعا ويضيق عليه ، ولو أنه انصرف بعد تناول طعامه لكان خيرا للجميع

٨٩- وفي سورة ص (٢٦) : "يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" النهى عن اتباع الهوى من تزكية النفوس

٩٠- وفيها الآية (٤٤) : "وَحُذِّبِيكَ ضِعْثًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ" النهى عن الحنث في الذكر الحكيم من باب تزكية النفوس لعلاقته بالوفاء ، وتعظيم المقسم عليه ، اللهم إلا إذا حلف الإنسان على شيء فرأى غيره خيرا منه فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير كما روى البخارى من حديث أبى موسى الأشعرى ، وكم من أناس يحلفون ويحثون ، فكيف تصفهم بالزكاة

٩١- وفي سورة الزخرف الآية (٦٢) : "وَلَا يَصْدَنُّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" ، جاء ذلك عقب قوله تعالى : "وَأَتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" أى أن الشيطان يصد الناس عن اتباع الرسل أى أنه يصدهم عن صراط الله المستقيم ، فالنفس الزكية هى التى تجاهد الشيطان ، والخبيثة هى التى تستجيب له ، وهو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، أى عكس تزكية النفوس

٩٢- وفي سورة الحجرات الآية (١) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ" من أهم ما تزكى به النفس أن يتطلع العبد إلى ما عند الله ورسوله ، فلا يسبق برأيه قول الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر العلماء أن البخارى رحمه الله قدم كتابه الجامع الصحيح بدون خطبة حتى لا يقدم بين يدي الله ورسوله

إن من تربى على ذلك كان بارا بوالديه معتبرا الكبير ، معظما للعظيم وفيها الآية (٢) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" نهى عن رفع الصوت فوق مستوى صوت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن رفع الصوت فوق

صوته يؤدي إلى إحباط العمل ، وهو من تزكية النفس ، والآية دليل على أن تزكية الناس من عزم الأمور وليست أمرا شكليا

٩٣- وفيها الآية (١١) : "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ"

٩٤- وفيها كذلك : "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"

٩٥- وفيها : "وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِ"

٩٦- وفيها الآية (١٢) : "وَلَا تَجَسَّسُوا"

٩٧- وفيها : "وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا"

كل ذلك من باب تزكية النفوس ، وعدم السخرية ، واللمز والهمز ، والنداء بالقباب مسيئة ، وما أكثرها في هذه الايام ، ومحاوله معرفة أخبار الناس على غفلة منهم ، والغيبة التي نفر منها الإسلام ، فجعلها بمثابة أكل لحم آدمي ميتا

٩٨- وفي سورة النجم الآية (٣٢) : " فَلَا تُزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى " النهي عن إعلان تزكية النفوس من مبادئ تزكيتها ، والذي لا يعلن تزكية نفسه إنما يتهمها ، وما دام يتهمها فهو يسعى إلى تزكيتها ، أما إذا أعلن أنه بلغ درجة التزكية والطهارة والسمو فمعناه أنه اطمأن إلى ذلك ، الأمر الذي يؤدي به إلى الغرور ، ومن ثم

إلى التعالي ، واتهام غيره ، وقد قال الأنبياء " ظلمنا أنفسنا " ، فإل للناس يقولون : ما عصينا الله قط ، إن كانوا صادقين فقد عصوا الله تعالى بهذا الإعلان ، ألم يرو البخارى قول النبی صلى الله عليه وسلم : "وأنا رسول الله لا أدرى ما يفعل بى"

إن النفس الزكية يشهد لها غيرها بأنها زكية ولا تشهد هى لنفسها ، وقد ملأنا الدنيا إعلانا عن تزكيتنا وعباداتنا ، وصرنا نسمع من كل إنسان مثل هذه التزكية حتى إنك لتحار حين تسمع ذلك وتقول : وهذا الفساد المنتشر ، من سببه ؟ وهذا الإفراط فى سوء الخلق من يقوم به ؟

إذا كان كل إنسان لا يأكل إلا من عرق جبينه ، فمن هؤلاء المتسولون ، ومن أين جاءوا ! وإذا كانت كل أسرة لا تسمح لبناتها بالتأخر عن البيت فوق السادسة مساء فبنات من اللاتى فى الشوارع حتى قبيل الفجر وإذا كنا جميعا لا نأكل طبخنا إلا بالسمن البلدى ، فمن يستعمل هذه الأطنان من الصناعات ؟

٩٩- وفى سورة الرحمن الآية (٨) : "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ"

١٠٠- وفيها الآية (٩) : "وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ"

تكرر ذلك كثيرا فى قصة شعيب ، وفى سورة المطففين ، فى مواضع كثيرة من الذكر الحكيم ينهانا ربنا عز وجل عن الاعتداء فى الميزان ،

عجيب أمر هذا الإنسان الذى تثق به وتستأمنه ، فيزن لك بالحيف لأنك غائب ، فإذا نظرت إليه وفاك حقك ومن الناس من يبخسك حقك عن طريق ميزان مختل ، هو الذى أفسده ، فأنت تراه موفيا وهو غير موف

والميزان يمتد من الآلة التى تزن الأشياء إلى معايير الحكم والقضاء والنقد ، فمن الناس من يزنك بما عندك من مال أو جاه أو سلطان ، كالحديث الذى ورد فيه أن رجلا مر وهو على هيئة حسنة ، فقال فيه الناس بناء على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه إن تكلم يسمع وإن شفع يشفع ، وإن خطب يزوج ، وقالوا عكس ذلك فى رجل مر بعده على عكس هيئته ، فبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يزن ملء الأرض من الأول ، رواه البخارى فى صحيحه إن من تزكية النفوس أن يزن الناس بالعدل فى الموازين الحسية والموازين المعنوية ، فالراعى لا يقدم من رعيته الأغنياء على الفقراء ، وقد قال الصديق رضى الله عنه للأمة إثر توليه الخلافة : القوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له .

١٠١ - وفى سورة الحشر الآية (١٠) : "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾" انظر إلى هذا التوجيه هذه (لا) الطلبية يوجهنا ربنا تعالى إلى أن نطلب منه ألا يجعل فى

قلوبنا غلا للذين آمنوا ، أى تزكية للنفس تربو فوق تزكية نفس تسأل الله خالقها ألا يجعل فيها سوادا لمسلم ، إن هذا السواد يخلق الدين ، لأنه يؤدى إلى البغضاء ، والبغضاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يخلق الدين لا الشعر

وهذا الدعاء من الأدعية المنسية مع أنه فى صلب القرآن الكريم ، فهل مررت بأحد فسمعتة يدعو قائلا : اللهم لا تجعل فى قلبى غلا لمؤمن ، لا شك أنك سمعت من يقول :

اللهم إني أسألك العفو والعافية
اللهم إني أسألك الخير وأعوذ بك من الشر
اللهم إني أسألك صلاح الأحوال
اللهم إني أسألك الخير للعيال
يارب فلان ابني خذ بيده فى الامتحانات
يارب فلانة ابنتى وفقها فى حياتها
يارب أصلح لى زوجتى
يارب أصلح لى زوجى

عشرات الأدعية لا تكاد تجد فيها هذا الدعاء ، وغيابه خطر علينا ، فإن فساد النفوس يكون بسبب هذا الغل ، وهو السواد الذى يعكر صفو الإنسان الذى امتلأ صدره غلا ، الغل يدفع إلى الضرر ، ويسوق إلى الجرائم ، والصفاء يدفع إلى الخير ، ويسوق إلى المودة

١٠٢ - وفي سورة الممتحنة الآية (٥) : "رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" ويلحق بهذا الدعاء أخوه في هذه الآية ، ومعناه كما يقول العلماء : لا تجعلنا أقل مالا وأسوأ خلقا ، فيظن الكفار أن ديننا باطل ، هذا معنى الفتنة ، والواجب أن يرانا الذين كفروا على تقدم في جميع مناحي الحياة ، لنكون بذلك حجة عليهم

واليوم نحن نعاني تلك الأزمة ، حيث تخلفت الأمة ، وبتنا يسخر الناس منا ومن ديننا ، فهم لا يفرقون بين الدين القيم وأتباعه المتخلفين ، إنهم يريدون واقعا يشهد لهذا الدين بأنه قيم ، والدين يأمر بذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة الصف الآية (٢ و ٣) : "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾"

وفي مجال تزكية النفوس يجب أن نتحلى بمكارم الأخلاق ، وآداب الحوار ، والأخذ بسبل التحضر ، أمور عرفها كثير منا في الغرب وعبر بعض رموزنا عن ذلك بقوله : لقد وجدت هنالك إسلاما بلا مسلمين ، ووجدت هنا مسلمين بلا إسلام

١٠٣ - وفي سورة الطلاق الآية (١) : "لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ" من تزكية النفوس أن تلتزم بآداب الشريعة عند انفضاض عروة

الوفاق ، فما بالناس بمن يطرد زوجته وهى ما زالت فى عصمته ، إذا كان من أمر الشرع ألا يخرجها من بيتها وهى مطلقة ، فكيف تخرج منه وهى زوجة .

١٠٤ - وفيها الآية (٦) : "وَلَا تُضَارَّوْهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ" نهى عن الضرر بغية التضيق على المرأة ، وقد تكرر النهى عن الإضرار بالنساء كما سبق فى آيات سورة البقرة

١٠٥ - وفي سورة المائدة الآية (٦) : "وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ" أى لا تقدم هدية لتحصل على أكثر منها ، سلوك مسلم زكى النفس لا يمن بعتاء وفى نيته أن يحصل على أعظم منه ، إنه لا يقدم سببا من أجل أحد ، وإنما يقدم مودة ومحبة وهبة خالصة لوجه الله عز وجل

١٠٦ - وفي سورة الإنسان الآية (٢٤) : "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا" نهى عن طاعة الآثمين الكافرين

١٠٧ - وفي سورة الضحى الآية (٩) : "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ"

١٠٨ - وفيها الآية (١٠) : "وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ" نهى عن قهر اليتيم الذى مات أبوه ، الأمر الذى يبلغ بالنفس تزكيتها وطهارتها ، لأن الذى مات أبوه ليس له نصير ولا مدافع ، يقهره الخبيث ولا يقهره من زكت نفسه ، والنهى عن نهر السائل الذى قد يلح فيؤرق ، وقد يتبع فيزعج .

الْفَصْلُ الثَّانِي
مَاذَا نَأْتِي

اللسنة النبوية ونزجبة النفوس

أعظم ما يكون السوء عند الغضب ؛ لأن الغاضب لا يملك السيطرة الكاملة على نفسه ، ومن ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لرجل استنصحه : لا تغضب ، فقال : زدني ، قال : لا تغضب ، قال : زدني ، قال : لا تغضب وما هذا التكرار منه - صلى الله عليه وسلم - إلا للتوكيد على آفة يكون البعد عنها غنيمة

والإسلام يعرف الغضب لله ، ولا يعرف الغضب لذات الغاضب ، والغضب لله وفي الله أن يغضب الإنسان المتدين إذا انتهكت حرمة الله - عز وجل - ، إنه يغضب لانتشار الفساد ؛ لأن الله أمر بالإصلاح ،، ويغضب إذا ساءت أخلاق الناس لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث من أجل مكارم الأخلاق ، يتمها ويكملها ويدعو إليها .

وقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يغضب لنفسه ، وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمة الله ؛ غضب حين جاء أسامة بن زيد يشفع في حد من حدود الله ، حين سرقت المخزومية ورغب أهلها في رفع الحد عنها بأى ثمن ، وقالوا : من يكلم فيها - رسول الله صلى الله عليه وسلم - ف قيل : حبه وابن حبه أسامة بن زيد بن حارثة ، فلما كلموا أسامة ، وكلم هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال له - عليه الصلاة والسلام - أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة !

وروت كتب السنن عنه في ذلك - صلى الله عليه وسلم - قوله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

ونحن هنا نلاحظ أمرا مهما جدا ، هو حال الغضب المناسب للسياق والمخاطب ، فالمخاطب هنا أسامة ربيب الإسلام الذي ولد مسلما ، فقد كان أبوه ربيب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنسوباً إليه قبل أن يحرم الإسلام التبني . أما إذا كان المخاطب مثل هذا الرجل حديث العهد بالدين الذي جاء ليرخص له النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزنا ، فالأمر يختلف ، حيث قال له المصطفى - صلى الله عليه وسلم - :

- أترضاه لأمك ؟ أترضاه لأختك ؟

فلما قال : لا ، قال له - صلى الله عليه وسلم - : ما لا ترضاه لأمك ولا لأختك لا يرضاه الناس لأمهاتهم وأخواتهم ،،

ما هب في وجهه - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل له : اغرب عن وجهي حتى لا أراك ، أعوذ بالله ... أعوذ بوجهه من سوء نيتك وسلوكك ... ونحو هذا من العبارات الدالة على الغضب .

إنه غضب الراشد الذي يقدر للأمور قدرها ، وللمناسبات أحوالها ، وللناس ظروفهم ، وليس غضب الطائش الذي يثور في كل وجه ، ويعتدى على أى مغضوب عليه .

وهو - صلى الله عليه وسلم - بذلك يزكى الدعاة إلى الله ، يعلمهم كيف يتعاملون عند الغضب لله - عز وجل - .

وقد روى البخارى أن أعرابيا رأى قسمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ظنها غير عدل ، فقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله

كلمة كبيرة ، وهى أكبر بالنظر إلى من قيلت فيه ، ولولا ذلك لما استأذن خالد فى قتله واكتفى النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ويحك ومن يعدل إن لم يعدل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، دعنى أقتله يا رسول الله ، هكذا قال خالد ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعه يا خالد ، فقد يكون من المصلين

قال خالد : يا رسول الله ، كم من مصل يصلى بجوارحه وقلبه منكرا ! فقال - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله لم يأمرنى أن أفتش عما فى قلوب الناس "

إنه - صلى الله عليه وسلم - غضب ، لا لأنه محمد بن عبد الله المتهم من ذلك الأعرابى الجافى بالظلم ، وإنما غضب لأنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو غضب فى الله عز وجل ، ومع ذلك التمس له عذرا كيلا يقتله وهو "عسى أن يكون من المصلين"

وقد جاء فى حديث عتب بن مالك الذى رواه البخارى وغيره أنه قال : "إن الله نهانى عن قتل المصلين" ، بمعناه ، حيث اتهم رجل فى مجلسه - صلى الله عليه وسلم - بالنفاق ؛ فسأل : هل يشهد ألا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؟ قيل : نعم ؛ قال : هل يصلى ؟ قيل : نعم ؛ قال : "أولئك الذين الذين نهانى الله عن قتلهم"

إنه غضب محقق ، وليس غضبا عشوائيا أى ليس ثورة نفس ، وإنما هو إلى ثورة العقل أقرب منه إلى ثورة النفس الجياشة .

وقد يكون الغضب مصحوبا بابتسامة ، وهذا غريب علينا فقد يتسم القارىء الآن ، ويسأل قائلا : لا شك أنك تمزح ، أو أن ابتسامة الغاضب ابتسامة ساخرة !

وأقول : لا هذا ولا ذاك ، فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن سلمى امرأة أبى رافع - وكانت هى وزوجها من خدم النبى - صلى الله عليه وسلم - جاءت تشكو أبا رافع ، قالت : يا رسول الله ، إنه يضربنى فقال - صلى الله عليه وسلم - : مالك ولها يا أبا رافع ؟ قال : تؤذينى يا رسول الله ، قال : بم أذيتك يا سلمى ؟

قالت : يا رسول الله ، ما أذيتك بشيء ، ولكنه أحدث وهو يصلى ، فقلت له : يا أبا رافع ، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ ؛ فقام يضربنى ، فجعل رسول - صلى الله عليه وسلم - يضحك ، ويقول : يا أبا رافع ، إنها لم تأمرك إلا بخير ، وروى أحمد أنه قال : لا تضربها ،

فلا شك أن النبى - صلى الله عليه وسلم - يغضب إذا ضربت الزوجة لغير سبب ، ويغضب كذلك إذا أودى الزوج ، إنه يغضبه الأذى من أى طريق ؛ لأنه بعث من أجل رفع الأذى عن الناس ، لكنه ما ثار فيها ولا فيه ، وإنما سأل بهدوء ، فهل رأيت غضبا فى هدوء عند غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الغاضب الثائر لا يسأل ، ولا يبتسم ابتسامة من طرفة موقف ، ولا يحاور فى تناغم مثل هذا .

إنه غضب العقل ، لا ثورة النفس ، وغضب العقل طريف طرفة معطيات العقل التى جعلت الناس يطيطون فى الهواء ، ويركبون الماء ويخرجون الدر من باطن الأرض ، ويكتشفون العجائب .

وليس من غضب العقل أن تقول الزوجة لزوجها : " ما رأيت منك خيرا أبدا " ، وقد رأت منه بلا شك خيرا كثيرا ، لكنه لحظة الغضب ، والثورة الهائجة ، ثورة النفس الجياشة ، لا ثورة العقل الذى يحتفظ بالخير عند مواطن الشر .

إن تركزية النفوس عند الغضب تكون على أساس أن الغضب لله هو الغضب ، وأن الغضب لله يعنى رفض الظلم ، وقبول العدل ، ويعنى التريث فى الوصول إلى الحقيقة قبل إصدار الحكم ، فمن القواعد المقررة فى الشريعة ألا يحكم القاضى وهو غضبان ، وهذا يعنى أن الغضب لله يعنى عدم الغضب ، فالقاضى لا يقضى إلا من أجل إقامة العدل ، فلغضبه فى الله والله عليه أن يهدأ قبلى أن يقضى ، فإن كان غاضبا لأى سبب انتظر قبل أن يصدر حكمه .

وكم من الأحكام الظالمة نصدرها عند الغضب ؛ ومنها تطليق الزوجات ، ومن رحمة الله بعباده عدم وقوع الطلاق عند الإغلاق أى عند الغضب الشديد الذى يرى فيه الإنسان الأرض سماء والسماء أرضا .

وحمل الشرع الإنسان المسؤولية عند الغضب الذى هو دون ذلك ، حتى لا يغضب .

ومن صور الغضب وما يكون عنده من أحكام جائرة ، أن يغضب الرجل من بعض ولده فيكتب ثروته لإخوته ليحرمه ، وهذا ظلم ؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى وغيره من حديث النعمان بن بشير : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم "

وعند الغضب يكون القسم وهو ملزم ، ويلزم الإنسان كفارة إن كان قسمه على مخالف للشريعة كأن يقسم ألا يدخل بيت أخيه ، والشرع أمره بصلته فلا بد أن يدخل بيته ، وعليه كفارة يمين ، وقد يقسم عامل عند الغضب أن يترك محل عمله لأن صاحب العمل أغضبه ، أو قال له كلمة سيئة

الصيد فى الغضب

وبعض الناس يصطاد فى الغضب ، كما يصطاد فى الماء العكر ، ويكون ذلك عن طريق زيادة الغضب عند الغاضب ،

أعرف رجلا غضب من زوجته فذهب إلى أخته وشكا لها ، فقالت له : تحمل من أجل ولدك ، أما هى فلا تطاق ولا تعاشر ، وأعوذ بالله من أمها وأختها وهى بلا شك مثلها ، وأخذت تحكى له أهوالا حتى كاد يقتلها لولا أن تداركه الله برحمته ، والعجيب هذه المقدمة الجميلة التى لم تلبث أن استحالت بغضا .

كثير من الناس يفعل ذلك ، يقول للنائر : وحد الله ، وصل على النبى - صلى الله عليه وسلم - والله لو كنت مكانك لقتلته ، حاجة تغيب وعالم ما عنده دم ، أى نفس زكية هذه ! إنها نفس ملوثة ، ليست خالصة من شوائب كدرة .

لقد غضب النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية حين أمر الناس بالحلل والذبح فلم يفعلوا ، وقال لأم سلمة : هلك الناس أمرتهم بأن يذبحوا ويحللوا فلم يفعلوا ، فقالت له : احلق واذبح فإذا رأوك تفعل فعلوا ، وقد كان .

أين أنت الآن يا أم سلمة منا ، هل قالت الأخت لأخيها : اذهب إلى امرأتك معتذرا فإذا رأتك كذلك بكت على كتفك ، وهل قال الذي قال : لو كنت مكانك لقتلته ، لو كنت مكانك لدفعت بالتي هي أحسن وهلا وهلا وهلا

وقد غضب - صلى الله عليه وسلم - حين جاءه من قال له كلاما أغضبه واعتدى ؛ فقالت له أم سلمة أيضا : لا يكن أشقى الناس بك ، وكان من رحمه ، فقابله وقبل منه ، وعفا عنه

أين الإصلاح بين الناس إن لم يكن هنا ، وكيف يكون ؟

وقد نجد إنسانا يقول للناس : دعوه حتى يهدأ ، حين يراهم يحاولون إطفاء نار غضبه ، وهو يقول هذه الكلمة التي ظاهرها جميل ، لكن باطنها خبيث ، كلمة حق أريد بها باطل ، إنه يسحبه من بينهم ليزيد ناره وقودا ، يقول له : هيا بنا نفكر ماذا نفعل ! إن لك حقا كبيرا ، وهؤلاء يريدون أن يضيعوا حقك ، وهذا اصطيداد في الماء العكر بزيادة العكارة ، وجلب كثير من الخسارة .

إن الإسلام يدعو إلى إطفاء ثورة الغضب ، وهي تكون بالكلمة الطيبة كما رأينا من موقفي أم سلمة - رضى الله عنها - ، وقد قال الله - تعالى - في سورة الأعراف (١٥٤) : "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ"

نعم سكت عن موسى الغضب ، وكأن الغضب له لسان ، هداً وسكت فكانه سكت ، ولكن السياق يدلنا كيف سكت عنه الغضب ، ألا ترى إلى موقف

هارون أخيه حين قال له : "قَالَ آيَنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" الأعراف (١٥٠)

فمن قالت لزوجها : يا رفيق العمر ، إن ظروفى كانت صعبة وكدت أبلغ الموت ، فلا تشمت بى الأعداء !

من قدمت للخطاب كما قدم هارون ، إنها تقول ما تقول دون تقديم ، ولا تعتذر ، ولا ترجو عدم شماتة ، بل إنك ربما وجدت هذا الحوار بلفظه ومعناه :

- يقول الزوج الغاضب : لم خرجت دون إذنى
- فتقول الزوجة : خرجت لأمى ، أمى ، وكم خرجت أنت لأملك
- يقول الغاضب : كان عليك أن ترسلى على الأقل رسالة ؛ ألم أشتري لك موبايل !
- هكذا أنت دائما تمنى ، ما تأتى به ذل ، وإهانة ، اشتريت لك ...
- اشتريت لك ، وهل هذا موبايل الذى اشتريته ، تعال لترى جهاز جارتى ، ولم جارتى .. أختى ، بنت أبى وأمى ، لقد جاءها زوجها - الله يكرمه - بجهاز من دى بالوف مؤلفة ، أما جهازك يا أبا جهاز فلعبة أطفال

- أنت تسعين إلى طلاقك ، وأنا أخشى أن أشمت بك جيرانك
- أنا لا يهمنى
- أستغفر الله العظيم

- اعمل فيه شيئا ... ماذا جرى ؟ هل قامت القيامة ؟ ماذا فيها ، أنت مفتر.

وهكذا ، نخرج عن الموضوع الذى تفرغ بنا إلى موضوعات جانبية ، فالموبايل ليس موضوع حديث ، وزوج الأخت أكرمهم الله مما يوهم أن زوجها لا يستحق من الله كرما ، والزوجة المسلمة لم تقرأ سورة الأعراف إلا فى رمضان وهى غير وقافة عند كتاب الله - عز وجل - ،

ومن الوقوف عند كتاب الله عز وجل أن نتأمل مثل هذا الحوار الذى كان بين موسى وهارون أخيه - عليهما السلام - فى موقف غضب فيه الكليم ، كيف واجهه أخوه برحمة واستعطاف

يقول العلماء إن هارون كان شقيق موسى أى ابن أمه وأبيه ، ولكنه قال له : ابن أم ، تذكر له بالرحمة والشفقة ، وهذا معنى عال كريم ، نحن فى حاجة إلى التأسى به فى حوارنا

والأنبياء جميعا يقولون للكفار : .. يا قومى ... يا قومى ... يا قومى

والله عز وجل يقول : "إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ" الشعراء (١٠٦)

ويقول : "إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ" الشعراء ١٢٤ وهكذا .

إطفاء نار الغضب

ويهمنى أن أبين منهج الإسلام فى إطفاء نار الغضب وهو يقوم على محورين أساسيين :

الأول : تجنب زيادة تلك النار فضلا عن تجنب أسبابه من حيث الأصل والأساس ، فإن العناية بما تجنب العناية به من أهم أسباب دفع الغضب عن الإنسان ،

ألمست تذكر قول المرأة من قديم لابتتها : "لا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح"

وقد روى ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة أخت مارية القبطية "سيرين" أن ابنها "عبد الرحمن بن حسان" أنها قالت : حضر إبراهيم ابن النبى - صلى الله عليه وسلم - الموت ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلما صحت أنا وأختى نهانا عن الصباح ، وغسله الفضل بن العباس ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - والعباس على سرير ، ثم حمل فرأيتنه جالسا على شفير القبر ، ونزل فى قبره الفضل والعباس وأسامة ، وكسفت الشمس يومئذ فقال الناس : كسفت لموت إبراهيم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تكسف لموت أحد ولا لحياته .

ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجة فى قبر إبراهيم فأمر بها فسدت ، وقال : إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقرر عين الحى ، وإن العبد إذا عمل شيئا أحب الله أن يتقنه " أسد الغابة ٧ / ١٥٢

فانظر إلى قوله - صلى الله عليه وسلم - : "تقرر عين الحى" حتى فى القبر ، الإسلام يكره أن يساء إلى أحد ، ولو بمنظر قبر غير متقن ، فيه فرجة ، ونحوها ، وهو يأمر برفع الأذى عن الطريق ، ويأمر بالزرع ، ويأمر بالمعروف ، وإفشاء السلام ، ومكارم الأخلاق ؛ الأمر الذى يجعلك لا تغضب .

إن عينك دائماً تشاهد الجمال في كل شيء ، في المباني ، في الطرق ، في الحضر ، في السفر ، فلم الغضب .

وأنت تطفىء نار الغضببان بالأ تزيدها اشتعالا كما قلت

والثاني : تغيير الأوضاع ، ويتأتى ذلك بإزالة سبب الغضب ، وباللطف في الخطاب ، كما قال هارون لأخيه كليم الله - عليه السلام -

وينصح الأئمة الغاضب بتغيير وضعه ، إن غضب وهو قاعد أن يقوم ، وإن غضب وهو قائم أن يقعد ، أن يتجول عن مجلسه ، أن يغير المكان ، وأن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم كما جاء في حديث البخاري .

وقد بين الإسلام أن الغضب من الشيطان ، وأن الشيطان من نار ، ولا يطفىء

النار إلا الماء قال عليه الصلاة والسلام : " فإذا غضب أحدكم فليتوضأ "

والغاضب قد يذكر الاستعاذة ، وقد يذكره بها غيره ، ويجب على غيره أن

يذكره بها فهي الكلمة التي إذا قالها ذهب ما به من غضب كما قال النبي - صلى

الله عليه وسلم -

تزكية النفوس بالعلم

من صام ومن لم يصم لعذر

من فقه هذا الدين أنه يزكى النفوس على علم لا على ضلالة وأوهام ، وفي

الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من

صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه "

قال المناوي في فيض القدير " ٦ / ٢١٣ " : " ولو ترك الصوم فيه لمرض ،

ونيته أنه لولا العذر صامه دخل في هذا الحكم ، كما لو صلى قاعداً لعذر فإن له

ثواب القائم "

وأقول : إن أى فتح من فتوحات الله تعالى على عباده في رمضان يناله

الصائمون ، وأولوا الأعذار بنياتهم ،

وبناء عليه فلا تتحسرن أنثى نزل عليها دم الحيض في رمضان خصوصاً أوله ،

قائلة : كان بودى أن أصوم أول يوم ، وكذلك من نزل عليها دم الحيض وهي

مقبلة على الطواف .

إن أوهام النفس والجهل توحى إليها بأن الله لا يحبها ، ولو كان يحبها لما حدث

لها ذلك ، هذا جهل ، هي مأجورة بإذن الله وحين تطهر تطوف ، وكذلك

تقضى ما عليها بعد رمضان .

هجر كقتل

روى السيوطي عن الأئمة في الجامع الصغير قول النبي - صلى الله عليه وسلم -

: " من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه " ، قال المناوي في فيض القدير

(٦ / ٣١٠) : " والمراد اشتراك الهاجر والقاتل في الإثم لا في قدره ، ولا يلزم

التساوي بين المشبه والمشبه به ، ومذهب الشافعي أن هجر المسلم فوق ثلاث

حرام إلا لمصلحة كإصلاح دين الهاجر أو المهجور ، أو لنحو فسقه ، أو بدعته

وأقول : إن هناك من الهجر ما لا يستساغ أصلاً كالهجر الذي في بيوت

المسلمين

هناك هاجر زوجه ، وهناك هاجرة زوجها ، وهناك هاجر ولده الذي ينفق عليه ، نادى رجل فقال :

- اسقنى يا محمد ؛ ومحمد هذا ولده ، فجاءته ليل ابنته بكوب الماء البارد ، وكان لا يكلمها فنظر إليها وقال : قلت يا محمد ، فعادت باكية ، وليس هذا من الإسلام .

مناولة المسكين تقى ميتة السوء

روى الأئمة ومنهم السيوطى فى الجامع الصغير عن حارثة بن النعمان ، وكان قد كف بصره فربط حبلا بين غرفته وبين باب داره ، حتى يمشى ليناوول السائل صدقة ، فلما قال أهله : نحن نكفيك ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " مناولة المسكين تقى ميتة السوء "

قال المناوى فى فيض القدير (٦ / ٣٢٣) : " بين به أن أفضل أنواع كفيات التصدق وأعلها المناولة وذلك لأن الله تفضل على هذه الأمة بأخذ صدقاتهم بيده ، ولم يكله إلى ملائكته ، ولا لأحد من خلقه : " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَرْحِمُ " التوبة (١٠٤) ، فلذلك ندب أن يتولى المتصدق المناولة ، وكان فضلها عظيما " .

ولله در العلماء الذين قالوا : ندب ، ولم يقولوا : وجب ، فقد تكون هناك أعذار ، والوكالة مشروعة لكن الأفضل المناولة .

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

وروى السيوطى عن الأئمة حديث جابر وغيره ، وانفرد مسلم بإيسته عن جابر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "

قال المناوى فى فيض القدير (٦ / ٣٥٦) : " أى المسلم الكامل فى الإسلام مع رعاية بقية الأركان ، وخص اللسان واليد بالذكر ؛ لأن الأذى بهما أغلب ، وقدم اللسان لأكثرية الأذى به "

ونص رحمه الله - على أن من الأذى إخراج اللسان استهزاء وأقول : إن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومعنى ذلك لا يضر أخاه بلسانه من شتم وسب وقذف وفحش واستهزاء ومن معانيه أن يسلم المسلم بلسان أخيه ويده ، فإن السلامة تكون كذلك باللسان بأن يدافع عنه ، ويرد غيبته ، ويصون عرضه ، ويبيده إذ يدافع بها عنه ، ويأخذ بها عشرته وينعشه ، فامدد يدك لإخوانك بالعون ، فالله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه

تزكية النفوس بالإنفاق

الإنفاق دليل تزكية النفس ، وسبيل إلى تزكيتها ، ألا ترى إلى قول الله تعالى - فى سورة التوبة الآية (١٠٣) : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

تطهرهم من الأدران والذنوب ، وتزكيهم : تزيد من حسناتهم
وقد ذكر الأئمة المفسرون عن الشافعي أنه قال : يستحب أن يدعو الإمام لمن
يأخذ منه الصدقات بأن يقول من أرسله لجمعها : آجرك الله فيما أعطيت
وجعله لك طهورا ، وبارك لك فيما أبقيت
واقتران الأمر بالصلاة بالتصدق أمر يجب أن يلتفت إليه الناس فجميع
العبادات لم يأت فيها هذا الاقتران مما يدل على أن للنفقة خصوصية ،
وللتصدق منزلة عالية .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للنساء : "تصدقن ، فإنني اطلعت على النار
فوجدت أكثر أهلها النساء" وهو محفوظ ؛ لأنهن يكفرن العشير أى الزوج
ويكثرن اللعن ، قال : تصدقن ، ما قال : صلين ، أو صمن ، وإنما قال : تصدقن
والله عز وجل يقول في سورة القيامة الآية (٣٢) : "فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى"
والصدقة دليل الصدق ، وفي حديث البخارى الذى رواه عن سعد بن أبى
وقاص أنه عندما شفاه الله من مرضه رغب فى الخروج من ماله كله صدقة لله
وشكرا ، ولم يوافقه على ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهى إلى
الثلث ، فوافقه وقال : والثلث كثير

ولارتباط الصدقة بتزكية النفوس جاء فى حديث سعيد الخدرى فى موارد
الظمان رقم (٨٢١) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لأن يتصدق
الرجل فى حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم عند موته "
وفى باب فيمن ينفق ومن يمسك روى الهيثمى فى موارد الظمان حديثين الأول
"٨١٤" ، عن أبى الدرداء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "ما

طلعت شمس قط إلا ويحببها ملكان يناديان : اللهم من أنفق فأعقبه خلفا ،
ومن أمسك فأعقبه تلفا "
وجاء من طرق أخرى صحيحة : "يقول أحدهما : اللهم أعط كل منفق خلفا
، ويقول الآخر : اللهم أعط كل ممسك تلفا "

والثانى "٨١٥" عن أبى هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
"إن ملكا بباب من أبواب الجنة يقول : من يقرض اليوم يجز غدا ، وملك
بباب آخر يقول : اللهم أعط منفقا خلفا ، وأعط ممسكا تلفا "

من ذا الذى يستحضر هذه الصورة الزكية كل يوم ويخرج شيئا لمسكين ،
يتصدق به ، وهو يرى نفسه داخلا فى دعاء الملك ، على باب من أبواب الجنة ،
يقول : من يقرض اليوم يجز غدا ، ويقول : اللهم أعط منفقا خلفا .

وفيه الحديث رقم "٨٢٠" الذى رواه وكيع عن الأعمش حدثه عن المعرور
بن سويد حدثه عن أبى ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
"تعبد عابد من بنى إسرائيل ، فعبد الله فى صومعته ستين عاما ، فأمرت
الأرض فاخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته ، فقال : لو نزلت فذكرت
الله فازددت خيرا ، فنزل ، ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو فى الأرض لقيته
امراة ، فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ، ثم أغمى عليه ، فنزل الغدير
يستحم ، فجاء سائل فأوما إليه أن يأخذ الرغيفين أو الرغيف ، ثم مات ،
فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسانته ، ثم وضع
الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته ، فغفر له "

وأود أن أقف هنا عند عبارة " فلم يزل يكلمها وتكلمه " رابطا بين ذلك وبين ما ذكرته هنا من دروس التزكية المستفادة من قصة كليم الله موسى - عليه السلام - حيث سأل الفتاتين : ما خطبكما ؟ دون زيادة ، فلما علم من أمرهما ما علم سقى لهما ، ثم تولى إلى الظل

أما هذا الراهب فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى انتهى الأمر إلى الفاحشة .

وفي سورة سبأ (٣٣) يقول الله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ، قال تعالى : " بل مكر الليل والنهار " لو كان حديث ساعة لقضى الأمر ربما بسلام ، إذ هناك من لو سئل الفتنة لآتاها وما تلبث بها إلا يسيرا .

قال الله تعالى في سورة الأحزاب الآية (١٤) : " وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا "

وكم من شريفة عفيفة انحرفت بسبب كثرة الكلام مع أهل الفسق والفجور ، الذين صبروا عليها ، فجروا رجلها نحو المعاصي .

وكم من مستقيم سلم نفسه لأهل السوء فانحرف ، وصدق العوام حيث قالوا : " الدن على الأذان أقوى من السحر " ، والله عز وجل يقول في سورة الإسراء الآيتين (٧٣-٧٤) : " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا "

وما ركن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم شيئا قليلا ولا كثيرا ، لأن الله ثبته ، والشاهد أن الكفار أكثروا من عرض ما عندهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخاطبوا عمه أبا طالب ، وعرضوا عليه مرارا وتكرار الملك والمال وغير ذلك ما فعلوه مرة ، وإنما فعلوه مرات ، ولولا تثبيت الله عز وجل إياه لركن إليهم

معادلة رياضية :

وفي المعادلات الرياضية إذا كان أ = ج ، وب = ج ، فإن أ = ب

وبتطبيق هذه المعادلة على الآيتين الكرمتين من سورة يونس والبقرة نجد أن أولياء الله هم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فآية يونس (٦٢) : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " .

وآية البقرة (٢٧٤) : " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "

وعليه يكون الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية هم أولياء الله ، وتلك من صفاتهم ، وهيهات أن يكون أولياء الله بخلاء !

أول مذكور من الأعمال :

وفي الحديث رقم (٨٦٣) من موارد الظمان أن أبا ذر - رضى الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عمل يدخل به الجنة ، فقال : تؤمن بالله

قال : قلت يا رسول الله ، إن مع الإيمان عملاً

قال : يرضخ مما رزقه الله

فقال أبو ذر : وإن كان معدماً لا شيء له ؟

قال : يقول معروفًا بلسانه

قال : فإن كان عيباً لا يبلغ عنه لسانه ؟

قال : فيعين مغلوباً

قال : فإن كان ضعيفاً لا قدرة له ؟

قال : فليصنع لأخرق

قال : فإن كان أخرق !

فالتفت إلى ؛ فقال : ما تريد أن تدع في صاحبك شيئاً من الخير ؟ فليدع الناس من أذاه

قال أبو ذر : والله إن هذا كله ليسير

فقال : والذي نفسى بيده ، ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله

تعالى إلا أخذت بيده يوم القبامة حتى يدخل الجنة "

فانظر كيف كان الرضخ من رزق الله - عز وجل - أول مذكور من الأعمال التي تصحب الإيمان ، وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة البقرة الآية

(١٧٧) : "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى

الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"

فقد جعل الله عز وجل أول مذكور بعد الإيمان الإنفاق من المال المحبوب

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون:

وفي سورة آل عمران الآية (٩٢) : "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"

والبر أعلى الدرجات ، وحين نزلت تصدق أبو طلحة ببستان هو بيرحاء كان

أحب ماله إليه ، وقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : "اجعلها في أقاربك"

أول صفات المتقين

وفي سورة آل عمران الآية (١٣٤) : "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "

وذلك بعد قوله تعالى في الآية (١٣٣) : "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"

فانظر كيف كان أول مذكور من صفات المتقين الإنفاق في السراء والضراء وهي كذلك ، أى الصدقة والزكاة والنفقة أول مذكور في الآية (٣٩) من سورة النساء : "وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا"

اقتحام العقبة :

والعقبة الكؤود التى تحول دون رضوان الله هى النفقة فى سبيله ، ومن أنفق فقد اقتحم العقبة وفاز ، ومن بخل فإنما يبخل على نفسه ، قال تعالى فى سورة البلد الآيات : "فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقْبَةَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ ۖ فَكُ رَقَبَةً ۖ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۖ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۖ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۖ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ"

وكم من حريص على يمين الجارحة وهو بخيل ، يأكل باليمين ، ويشرب باليمين ، ويدخل من جهة اليمين وهو بخيل ، إن يمين المذهب والاعتقاد والقرآن هى يمين العطاء واقتحام العقبة ،،

وأهل اليمين هم المؤمنون الذى يتواصون بالصبر وبالرحمة ، فإن استطاعوا أن يعملوا أكلا وشربا ونوما باليمين فيها ونعمة للتبرك ، وإلا فلا حرج بإجماع .

من النعم التى لا تعد :

لا تعد نعم الله لكثرتها ، قال الله تعالى فى سورة إبراهيم الآية (٣٤) : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصَوْهَا " ، وهى كذلك فى سورة النحل الآية (١٨)

وأنت إذا سألت إنسانا أن يعد نعم الله عز وجل قال لك : نعمة الدين ، وأنت عندئذ تقول له : أحسنت ، ثم ماذا ؟ قال :

- الصحة
- الزوجة
- الأولاد
- العين
- الأذن
- القلب
- البنكرياس

ويعد لك مكونات جسده ، ومعظم التركيز على المال ، الذى بالانغماس فيه تنوسيت نعم كثيرة .

ومن النعم التى قل من يعدها ما ذكره ربنا - تعالى - فى سورة الكهف الآية (٩٠) : " حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا " ، وقد ذكر المفسرون أن ذا القرنين وصل إلى هذا المكان الذى أحاط الله تعالى به خبرا ، فوجد هؤلاء القوم الذين قال لهم فيهم : "لم نجعل لهم من دونها سترا" ، من بيت ، وثياب ، وشجر ، أرضهم لا تتحمل بناء ، وهم عراة ، ولا شجر فى أرضهم ،،

فمن حمد الله - عز وجل - على نعمة بيت يؤويه وثياب تستره ، وشجرة يستظل بظلها

الإِنْفَاقُ أَوَّلُ مَغْبُوطٍ عَلَيْهِ :

وفي حديث البخاري وغيره عن ابن مسعود يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها "

فانظر كيف كان إنفاق المال في الحق سببا أول في الغبطة ، أول ما تغبط عليه الناس ، وتتمنى أن تكون مكانهم الإنفاق من مال الله في الحق

١- في الإنفاق على من تلزمه نفقتهم

٢- في صلة الرحم

٣- في بناء مدرسة

٤- في بناء مستشفى

٥- في بناء مسجد

٦- في تجهيز غاز

٧- في إعانة طالب علم فقير

٨- في كفالة يتيم

٩- في كفالة أرملة

١٠- في إطعام مسكين

١١- في مواساة محتاج

١٢- في تسديد دين عن مدين ، وغير ذلك

خير ما في الإسلام :

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي الإسلام خير ؟ قال : " تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " إن إطعام الطعام من صفات الأبرار ، قال - عز وجل - في سورة الإنسان الآية (٨) : " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا "

ومما اتفق عليه الشيخان عن جابر - رضي الله عنه - قال : ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط ، فقال : لا

والجزء من جنس العمل ، إن الإسلام حين دعا إلى الإنفاق وعد المنفقين خيرا ، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : قال الله تعالى : " أنفق يا ابن آدم ينفق عليك "

ما أنفقت باق وما أكلت هالك :

وروى الترمذي الحديث الحسن الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما بقى منها ؟ قالت : ما بقى منها إلا كتفها ؛ قال : بقى كلها إلا كتفها ،،

أي ما أنفقت منها فهو الباقي لكم في موازين يوم الدين ، وفي صحائف أعمالكم وفي حديث مسلم عن أنس أن رجلا جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه ، فقال يا قوم : أسلموا ، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها .

أهل المواساة من رسول الله :

روى البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الأشعرين إذا أرملوا في الغزو أو أقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم "

أعظم شهادة ينالها إنسان أن يكون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه

وإذا كان الشيعة يفخرون - ونحن معهم - بحديث النبى - صلى الله عليه وسلم - : " أنا من حسين وحسين منى " ، فإن من حقنا جميعا أن نفخر بالأشعرين وأن نحذو حذوهم

إننا نجاهد في سبيل أن يأكل أحد أطفالنا مع أخيه ، هذا يريد أن يأكل وحده وذاك يريد أن يأكل وحده

اتقوا النار ولو بشق تمر

مما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اتقوا النار ولو بشق تمر ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة "

إن الصدقة بالمال أولا ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ، والأفضل الأعلى أن يتصدق بالمال والكلمة الطيبة معا ، هناك إذا من يتصدق بالكلمة الطيبة يرفق بها صدقته المادية ، بلا من ولا أذى

وهناك من يتصدق بالمال ولا يتكلم ، وهناك من لا يجد المال ، وعليه أن يتصدق بالكلمة الطيبة

لكن علينا أن نلاحظ قوله - صلى الله عليه وسلم - " اتقوا النار ولو بشق تمر " لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها :

روى أبو داود عن عوف بن مالك قال : دخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد ، وبیده عصا ، وقد علق رجل منا حشفا ، فطعن بالعصا في ذلك القنو ، وقال : لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها ، وقال : إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة "

الجزء من جنس العمل ، من تصدق بأفضل ما عنده أكل أفضل مأكول يوم القيامة ، ومن تصدق بردىء أكل رديئا يوم القيامة

والله - عز وجل - يقول في آية البقرة (٢٦٧) : " يَتَائِفُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ "

وقد ورد في نبأ ابنى آدم أن الذى تقبل الله منه قدم أزكى ما عنده ، وأن الآخر قدم رديئا ، فتقبل الله من الأول ، ولم يتقبل من الآخر .

إن الله لا يقبل صدقة من غلول :

الصدقة تزكية النفس من الأوضار ، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول "

إننا مثل رجل اجتهد اجتهدا عظيما في صلاته قام الليل كله ، يتلو ، ويركع ويطيل ، ويسجد ويطيل ، خاشع ، يذرف الدمع ، ويقطع الأكباد وصلاته هذه غير مرفوعة ، ولا مقبولة ، لماذا ؟ ، لأنه صلى بغير طهور ، كان عليه قبل أن يكبر تكبيرة الإحرام أن يتوضأ ، حتى تقبل صلاته

نحن كذلك إلا من رحم الله ، أى أننا نعمل أعمالا عظيمة ولكننا لا نبدأ هذه الأعمال بما يصلحها ويجعلها بإذن الله مقبولة

وكذلك المتصدق ، لا تقبل صدقته من غلول ، والغلول : بضم الغين : الخيانة في غنيمة أو سرقة ، أو غضب

واستثنى العلماء في الغضب إذا مات المغصوب منه وليس له وارث فتصدق الغاصب عنه بهاله الذي اغتصبه منه ، عندئذ يقبل الله منه

وقد دخل ابن عمر كما جاء في صحيح مسلم يزور ابن عامر ، فقال له ابن عامر : ألا تدعو الله يا ابن عمر ، فزجره ابن عمر ، وقال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وذكره

وقد كان ابن عامر عامل البصرة ، فهو مظنة الغلول ، يريد ابن عمر أن يقول لابن عامر : تخلص أولا من الغلول ، كى يستجيب الله دعائك أو دعاء من دعا لك ، قال المناوى في فيض القدير ٦ / ٥٤١ :

" يعنى أنك غير سالم من الغلول ، لكونك كنت عامل البصرة ، فلا يقبل الله الدعاء لك ، وقصده بذلك زجره "

فقل للذى يحج من مال حرام ويعتمر ، ويتصدق ويجهتد في الدعاء : إنك تبنى أعمالا عظيمة على باطل ، فتخلص من الباطل ، ثم حج من مال حلال فإن لم تستطع فلا حج عليك ولا إثم .

فك لحى سبعين شيطانا :

عن بريرة روى السيوطى عن الأئمة في الجامع الصغير : " ما يخرج رجل شيئا من الصدقة حتى يفك منها لحى سبعين شيطانا "

قال المناوى في فيض القدير (٥ / ٦٥٤) : " لأن الصدقة على وجهها إنما يقصد بها ابتغاء مرضاة الله ، والشياطين بصدد منع الإنسان من نيل هذه الدرجة العظمى ، فلا يزالون يدأبون في صده عن ذلك ، والنفس لهم على الإنسان ظهيرة ؛ لأن المال شقيق الروح ، فإذا بذله في سبيل الله فإنما يكون برغمهم جميعا ؛ ولهذا كان ذلك أقوى دليلا على استقامته ، وصدق نيته ، ونصوح طويته ، والظاهر أن ذكر السبعين للتكثير لا للتحديد كنظائره "

وفي حديث الترمذى وغيره عن أسامة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء "

يقول المناوى في فيض القدير (٥ / ٥٦٥) : " وأقل فساد المرأة أن ترغبه في الدنيا ليتها لك فيها ، وأى فساد أضر من هذا مع ما هنالك من مظنة الميل بالعشق وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن يضيق عنها نطاق الحصر "

وأرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها ، وردها الفضيل ؛ فقالت له امرأته : ترد عشرة آلاف ، وما عندنا قوت يومنا ؟

فقال : مثلى ومثلكم كقوم لهم بقرة ، يحرثون عليها ، فلما هرمت ذبحوها ، وكذا أنتم أردتم ذبحى على كبر سنى ، موتوا جوعا قبل أن تذبحوا فضيلا .

ومن نوادر ما يحكى في حديث السبعين شيطانا أن رجلا سمعه من أحد الوعاظ ، فقال : أنا أقاوم هؤلاء جميعا وأغلبهم ، ومضى إلى بيته وأخرج جوالا من شعير ، حمله على ظهره ، ومضى لينفقه صدقة على الفقراء والمساكين ، فقابلته امرأته ، وقالت : إلى أين ؟ فقال : في سبيل الله

قالت : هل علمت أن الشعير لا توجد حبة منه في الأسواق

قال : ولو ، قالت : هل نسيت أن لنا أطفالا صغارا ضعفاء ، وأن .. وأن !

وظلت تحدثه حتى عاد به وما أنفقه ، فلما لقي الواعظ وسأله : هل غلبتك الشياطين ؟ ، قال : بلى غلبتنى أمهم .

تزكية النفوس بالبعد عن الشك

يتعجل الإنسان دائما ، ومن تعجله أنه إذا نادى ولده المكظوم ولم يجبه قال : هذا الولد ابن حرام !

روى أبو داود عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من بنى فزارة ، فقال : إن امرأتى جاءت بولد أسود ، فقال : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : فهل فيها من أورك ؟ قال : إن فيها لورقا ، قال : فأنى تراه ؟ قال : عسى أن يكون نزع عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون نزع عرق "

فانظر إلى أزكى نفس في الوجود - صلى الله عليه وسلم - كيف جعل الرجل يطمئن إلى ولده ،

ونزع العرق من بعيد أولى من البراءة من النسب ، قد يكون الولد أبيض وأبواه أسودان ، والعكس ، ولعله نزع عرق من جد بعيد ، وما دام هذا الأمر واردا فحمل الولد عليه أولى من اتهام أمه بالفاحشة .

عند الغضب يكون كلام لا يعول عليه ولا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

الصدقة بيضت وجه النبي - صلى الله عليه وسلم -

هنيئا لمن تدبر صالحا في هذا الدين ، ووقف عنده ، وهداه الله تعالى إليه ، ومن هذا التدبر أن صدقة طيء بيضت وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، روى ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٦٩) أن عدى بن حاتم الطائي قدم على عمر بن الخطاب ، وقال له : ما أظنك تعرفنى ؟

فقال عمر : كيف لا أعرفك ، وأول صدقة بيضت وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - صدقة طيء ، أعرفك آمنت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا "

إن قول عمر : بيضت وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدقة طيء يدل على أن الصدقة شأنها عظيم ، ونحن نعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يأكل الصدقة ، إنما يأكلها المحتاجون ، ووجهه يبيض إذا أكل الناس .

مات عدى بن حاتم الكريم بن الكريم وهو ابن مائة وعشرون سنة فكل من أراد أن يبيض وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فليصدق .

التزكية بالمعادلة

ما ترك الإسلام أتباعه في متاهة ، وما جارت تعاليمه على حقوق الناس ، وفي هذا الحديث بيان :

روى الطبراني في المعجم الصغير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من ألبسه الله نعمة فليكثر من (الحمد لله) ، ومن كثرت ذنوبه فليستغفر الله ، ومن أبطأ رزقه فليكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) ، ومن نزل مع قوم فلا يصومون إلا بإذنهم ، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه ؛ فإن القوم أعلم بعورة دارهم "

نحن أمام قضايا مهمة في هذا الحديث أولها قضية النعم ، وما أكثرها ، وما أسوأ تجاهلها ، ومنها ما لا تكاد تسمع أحدا يذكره ، كما في قوله عز وجل في سورة النحل الآية (٨١) : "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ "

وأكبر النعم نعمة الدين ، والأمن ، والعافية ، وقوت اليوم ، وما لا يحصى ، وعلى الذين أنعم الله عليهم أن يكثرُوا من حمد الله عز وجل وأما "من كثرت ذنوبه فليستغفر الله" ، فليس معناه أن من قلت ذنوبه لا يستغفر ؛ وإنما ذلك من باب أولى

"ومن أبطأ عليه رزقه" : عبارة تدل أول ما تدل على أن الرزق في الطريق ، لكنه قد يبطىء ، لكنه قادم قادم ، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها .

ما قال : من أبطأ عليه رزقه فليتنحر أو يقتل ولده ونفسه ، وإنما يكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله

وفي ذلك إضاعة الفرصة ، ويجب أن تضيع على كل دجال محتال ، يوهم الناس بأن هناك آيات معينة ، وكلمات سرها عنده وغير ذلك ، تكتب بطريقة كذا ، وتوضع تحت عتبة باب المحل ، وغير ذلك من الدجل ،

"ومن نزل مع قوم فلا يصومون إلا بإذنهم" : أى صيام النافلة ، إذ إنه شريك معهم في العمل ، والصوم يضعفه ، فلا يستطيع القيام بالواجب الذي عليه نحوهم ، وفي استئذانه أدب ، وتسكين لنفوسهم فإن أذنوا له فقد أعانوه على طاعة ولهم أجرهم وإلا فلا شيء عليه ولا عليهم

"ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه" : وعلة ذلك أنهم أعلم بعورة دارهم ، فقد يجلس في مكان يطلع فيه على ما يكرهون أن يطلع عليه وهذا من حقهم ، من حقهم أن يراعوا حرمة دارهم وألا يطلع أحد على شيء يحبون ألا يطلع عليه

الواجب مقدم على التطوع

والدين ليس تعذيباً

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدي إليه شطره "

في غير رمضان باتفاق ، فصيام رمضان فريضة لا يحل للمرأة أن تصوم نافلة وزوجها حاضر غير مسافر إلا بإذنه ، لأن حق الزوج عليها واجب ، والواجب مقدم على التطوع : ابن حجر (٢٠٧/٩)

بعض الزوجات مسلمات قانتات ، يداومن على تلاوة القرآن ، وصيام الاثنين والخميس وغيرهما من صيام التطوع ، وهذا جميل متى استأذنت زوجها فأذن لها . ومعنى لا يحل : يحرم ، وظاهر الحديث يرد على من قال : ليس له أن يمنعها من خير تفعله

وكذلك يحرم عليها أن تأذن لأحد بدخول بيته إلا بإذنه خصوصا إذا علمت أنه يكرهه ، فإن علمت أنه من عادته إدخال الضيوف أذنت إن كان غائبا لعلمها بذلك كما قال ابن حجر (٢٠٧/٩) .

لا كذب حتى مع الأطفال

روى البخارى ومسلم وأبو داود عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : دعتنى أمى يوما ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندنا ، فقالت : تعال أعطك ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : تمرا ، فقال لها : أما أنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة "

وأم عبدالله بن عامر بن ربيعة هى ليلي بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله قرشية عدوية ، هاجرت مع زوجها عامر بن ربيعة

واستأنست بإسلام عمر ، مجاهدة كبيرة ، مؤمنة مهاجرة ، وقد نبهها النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى تزكية النفوس من باب الصدق مع طفلها . وهذا الحديث نهديه إلى كل أم ، وكل أب يحتال على الطفل كى يقبل بوعده مكذوب فكيف يتربى مثل هذا الطفل على تزكية النفس .

كثيرة العبادة مؤذية لجيرانها

وفي موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان الحديث رقم (٢٠٥٤) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - " أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : هى فى النار ، قال إن فلانة ذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها ما تصدقت بأثوار أقط غير أنها لا تؤذى جيرانها ، قال : هى فى الجنة " .

ما نفعت كثرة العبادة مع سوء السلوك ، أذى الجيران باللسان أدى بالمؤذية كثرة العبادة إلى النار

وقليلة العبادة - أى فى النوافل - ولا تؤذى جيرانها كانت فى الجنة فأى درس نتعلمه من ذلك غير أن الدين دين سلوك وآداب ، وثمره مرجوة من وراء العبادات والتكاليف

إن قيمة المعاملة كبيرة ، وأثر حسن المعاشرة خصوصا مع الجيران عظيم فى حياة المسلم الدنيوية والأخروية ،

وفى حديث أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " .

قل واعمل شكراً

في الحديث (٢٠٧٠) من موارد الظمآن للهيثمي عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " إنه درس تهذيب النفوس ، قل شكرا واعمل شكرا لمن أسدى إليك معروفا قال لي : لقد من الله بزوجة درجت في بيت أهلها على "شكرا" لكل من يصنع خيرا ورزقني الله منها طفلا ، كانت تأتي به وهو لا يكاد يبين ، ابن عامين ، وتقول له : قل شكرا يا ولدي على كذا قال لي : كانت كلمته بمثابة الماء البارد على كبدي وبمشابة الندى الرطب على حرارة نفسي ، كنت أود أن أقوم من مضجعي في عز البرد وأن أشتري له شيئا جديدا .

ولا شك أن هناك أما أخرى ، إذا سألتها زوجها أن تعلم أبناءه شكرا قالت له : على أي شيء ؟ أليس ذلك واجبا عليك ! لا شكر على واجب ، خطأ ثم إن الشكر ليس باللسان فقط ، وإنما هو باللسان واليد والقلب

احفظ السر

روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس : أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن صبيان ، فسلم علينا ، وأرسلني في حاجة ، وجلس في الطريق ينتظرني حتى رجعت إليه ، قال : فأبطأت على أم سليم ، فقالت : ما حبسك ؟ فقلت : بعثني النبي - صلى الله عليه وسلم - في حاجة ؟

قالت : ما هي ؟

قلت : إنها سر

قالت : فاحفظ سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

فما بال الأمهات ، والآباء اليوم يجرون الأطفال ويستدرجونهم من أجل إذاعة الأسرار

- ماذا فعل أبوك عندما ذهب إلى مكتبه ، هل اتصل بعمتك ؟ هل دخلت عليه امرأة ؟ صفها لي ، ماذا كانت تلبس ؟ ما لون شعرها ؟ ماذا قالت له ؟ وماذا قال لها ؟ هل تحدث في جهاز محموله ؟ هل ، كم ، كيف ، قل وخذ هذه الجنيهاات

كيف يتربى جيل على هذا السوء ، لو أحسنا تربية أولادنا لنهيناهم عن إفشاء الأسرار

للإمام البخاري كتاب علم هو الأدب المفرد ، ضمنه (٦٤٤) ستائة وأربعة وأربعين بابا

١- باب قوله تعالى " ووصينا الإنسان بوالديه "

٢- باب بر الأم

٣- باب بر الأب

٤- باب بر والديه وإن ظلما

٥- باب لين الكلام لوالديه

٦- باب عقوق الوالدين

٧- باب لعن الله من لعن والديه

- ٨- باب يبر والديه ما لم يكن معصية
 - ٩- باب من أدرك والديه فلم يدخل الجنة
 - ١٠- باب من بر والديه زاد الله في عمره
- أربعة وعشرون بابا في بر الوالدين
- ثم صلة الأرحام من (٢٤-٥٠)
 - ثم أدب الوالد وبره لولده من (٥١-٥٣)
 - ثم الرحمة (٥٤-٦٢)
 - ثم الجيران (٦٢-٧٠)
 - ثم الكرم (٧١-٧٢)
 - ثم فضل من يعول يتيما (٧٣-٨٣)
 - ثم الخدم (٨٤-١٠٧)
 - ثم باب تحته أبواب في الرجل راع في بيته (١٠٨-١١١)
 - ثم باب من لم يشكر الناس (١١٢-١١٦)
 - ثم باب قول المعروف (١١٧-١١٩)
 - ثم باب المسلم مرآة أخيه
 - ثم باب الدال على الخير
 - ثم باب العفو والصفح
 - ثم باب الانبساط إلى الناس
 - ثم باب التبسم
 - ثم باب الضحك
 - ثم باب المشورة

- ثم باب التحاب بين الناس
- ثم باب حسن الخلق ، وسخاوة النفس ، والشح ، والبخل ، وطيب النفس ، وما يجب من عوف الملهوف ، ودعاء الله أن يحسن خلقه ، وليس المؤمن بالطعان ، والنمام ، والعياب ، ثم الزيارة ، وفضلها ، وفضل الكبير وإجلال الكبير ، وتسويد الأكابر ، وإعطاء الثمرة أصغر من حضر من الولدان ، وباب رحمة الصغير ، ومعانقة الصبي ، وارحم من في الأرض ، وباب رحمة العيال ، وباب رحمة البهائم ، وباب من يصبر على أذى الناس ، وباب حب الرجل قومه ، ومن هجر أخاه سنة ، وباب السباب ، وسقى الماء ، وسباب المسلم ، ومن قال لأخيه يا منافق ، ومن قال لأخيه يا كافر ، ثم باب المنذرين ، ثم باب الرفق ، وباب الرفق في المعيشة ، وباب دعوة المظلوم ، وباب الظلم ، وعيادة المريض ، وباب من أطعم أخاه في الله ، وفيه روى عن محمد بن الحنفية عن أبيه على - رضي الله عنهما - قال : "لأن أجمع نفرا من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق رقبة" الأدب

ص- ١٧٢

- ثم باب الحياء ، والاستغفار ، والدعاء ، ثم إكرام الضيف ، ثم باب النفقة ، ثم باب من ستر مسلما ، ثم باب لا تسبو الدهر ، ثم باب الهدى والسمت الحسن ، ثم أبواب الأسماء ، ثم باب المعارض ، وباب إفشاء السر ، وباب السخرية ، ثم الطيرة ، إلى آخر باب لا يكن بغضك تلفا

أبواب كثيرة اشتملت على (١٣٢٢) حديثاً نبوياً صحيحاً في الآداب التي هي صلب تزكية النفوس ، فأين الخطاب الديني الذي اشتمل على تلك الأبواب .

تزكية النفوس بتذوق الحسنات والسيئات

في موارد الظمان الحديث (٢٢٨٢) عن جابر بن سمرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب في الناس ، فقال : " من كانت تسوؤه سيئته وتسره حسنته فهو مؤمن "

معيار وضابط للإيمان يقوم على الشعور ، لقد رأينا من يفعل السوء ولا يسوؤه ذلك ، وتلك مصيبة

مصيبة أن يموت شعور الحى بما يفعل ، فلا يدرك الفرق بين السيئة والحسنة . كان السلف الصالح يرون الذنب الصغير كأنه جبل واقع عما قريب فوق رؤوسهم ، وكانوا يعدون ذلك آية من آيات الإيمان ، أما المنافق فيرى الذنب الكبير كأنه ذبابة مرت أمام وجهه .

ماذا نفعل من أجل تربية الأجيال على هذا الشعور ونحن نرى الطفل يسب ويلعن ويشتم ، ويضرب ويسرق ويقال له : أحسنت

وإذا أحسن لا يقال له : أحسنت

إننا نربي فيه البلادة ، ونربي على عكس مقتضى الإيمان ، ولا أمل لنا ولا لأجيالنا في حياة زكية بعد ذلك

البركة لزكى النفس

في موارد الظمان الحديث رقم (٨٥١) عن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن هذا المال خضرة حلوة فمن أعطى منها شيئاً بطيب نفس منا ، وحسن طعمة منه من غير شرف ، أو من غير شرف نفس بورك له فيه ، ومن أعطى منها شيئاً بغير طيب نفس منا وحسن طعمة منه وإشراف نفس كان غير مبارك له فيه "

وفي البخارى مثله وفي موطأ مالك ، وغير ذلك ، والقضية تتمثل في تزكية النفس في أقوى ما يعارضها ، وهو المال ، الذى يسيل عنده اللعاب ، وتتغير عنده المبادئ ، والصبر على المال عزيز ، يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يزكى النفوس بعدم إشرافها على المال ولهفتها عليه وإليه ، فإن زكى النفس يأتيه رزقه وقد ساقه الله - عز وجل - إليه زكياً كنفسه الزكية مباركاً فيه .

وكلام النبوة هنا وحى لا يتخلف ، وهدى ونور يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لكل إنسان مشرفة نفسه إلى المال حريص على أن يناله بأى وجه إنه لن يبارك لك فيه ؛ فاختر لنفسك .

دع داعى اللب

وفي موارد الحديث رقم (١٩٩٩) عن ضرار بن الأزور قال : بعثنى أهلى بلقوح إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتيته بها فأمرنى أن أحلبها ، فحلبتها ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " دع داعى اللب "

معناه : لا تحلب حتى النهاية ، ولكن أبق في الضرع شيئاً من اللبن ، فإنه يستدعى غيره

وهذا الحديث أهديه إلى كل من يتفق جميع ما في حافظة نقوده ، أقول له : دع داعي المال ، وأهديه إلى الراغبين في تزكية النفوس عندما يغضبون فأقول : دعوا داعي الصلح

كم فينا من أناس إذا خاصموا فجروا في الخصومة ولم يتركوا عيبا في خصومهم إلا ذكروه

أقول للغضبي من النساء : لا تدمي كل ذم فقد تكون لك رجعة ، وأقوله لكل غاضب ثائر : أبق للصلح مكانا .

النفوس الزكية لا تعامل بالمثل في السوء

حديث أبي الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة مشهور أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبصر على مالك بن نضلة ثوبا خلقا (باليا) ، فقال : لك مال ؟ ، قال : نعم ، قال : "أنعم على نفسك كما أنعم الله عليك"

قال مالك بن نضلة : يا رسول الله ، إن رجلا مربى ، فقريته ، فمررت به فلم يقرني أفأقربه ؟ قال : نعم"

أمران في هذا الحديث

الأول : أن من تزكية النفوس أن تبدى نعمة الله عليها ، فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وليس من تزكية النفوس أن يكون المرء ذا مال ويهين نفسه ، من حيث الملابس أو الطعام أو المسكن ، وكم من غنى ذى مال وأولاده يشكون مر الشكوى من حرصه وبخله ، وسوء صنيعه معهم .

والثاني : أن زكى النفس إذا أكرم أحدا ولم يكرمه أكرمه من بعد بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - .

من ولى حره وعلاجه

وروى البخارى عن أبى هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكله أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين ، فإنه ولى حره وعلاجه"

من تزكية النفوس أن تراعى ما يمكن أن يغيب ، تراعى الخادم الذى طالما قال له مخدمه : ضعه وانصرف ، أو قال له : مالك ، ماذا تريد ، أما وضعت الطعام .. هيا امش .. هيا .

يقول الشافعى فيما نقله عنه ابن حجر فى الفتح ٩ / ٤٩٥ إجلال الخادم أفضل ، وإلا فليس بواجب ورجح الرافعى أن المناولة متعينة (واجبة) إن لم يجلسه وقال ابن حجر (٩ / ٤٩٦) : "والعلة أن تسكن النفس ، أى نفس الخادم تسكن بذلك" ، وسكون النفس أمر ذو شأن ، فهنيئا لمن سكنها وطوبى له .

يحسن أن نكون معا

روى البخارى عن أبى هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم نومه وطعامه ، فإذا قضى نهمته من وجهه فليعجل إلى أهله"

من أجل تزكية النفوس يحسن أن نكون معا ، ينظر بعضنا فى وجه بعض ، ويعالج بعضنا بعضا ، ويواسى بعضنا بعضا ، ويشد بعضنا أزر بعض .

وقد يضطر إنسان إلى السفر ، فالسفر عندئذ ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها ، فإذا قضى المسافر حاجته من سفره كان عليه أن يعجل بالرجوع إلى أهله حتى يتسنى له أن يأكل لقمة شهية ، وأن ينام فى هدوء وسكن ومودة ورحمة .

إن هذا الحديث نهديه إلى كل مسافر استوطن الغربية ورضى بها ، وترك أهله ، وعذبهم ، ورضى بعذابه بعيدا عنهم متوهما أنه بذلك سعيد ونوجهه إلى الشباب الذين في بلادهم ، ولكنهم لا يعجلون بالرجوع إلى زوجاتهم بعد انتهاء أعمالهم .

طعام الواحد يكفى الاثنين

روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول - صلى الله عليه وسلم : " طعام الاثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الأربعة " خلاصة الباب أن النفوس الزكية تتضامن ، فيكفيها القليل ، والعلماء يقولون إنه لا يكفى فى الحقيقة وإنما يسد الجوع وقال ابن حجر فى فتح البارى ٩ / ٤٤٥ : " مطلق طعام القليل يكفى الكثير " وذكر - رحمه الله - أن المواساة إذا حصلت حصلت معها البركة ، فتعم الحاضرين ، وفيه أنه لا ينبغى للمرء أن يستحقر ما عنده ، فيمتنع من تقديمه ، فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء ، بمعنى حصول سد الرمق ، وقيام البنية لا حقيقة الشبع

إن المواساة من شيم النفوس الزكية ، والأنانية لا تعرف إليهم سبيلا

للغائب نصيب

روى البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر قال : كنا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ثلاثين ومائة ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل مع أحد منكم طعام ؟ فإذا رجل معه صاع من طعام ونحوه ، فعبجن ، ثم جاء رجل مشرك مشعان

طويل بغنم يسوقها ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : أبيع أم عطية ؟ أو قال : هبة ، قال : لا ، بل بيع ، قال : فاشترى منه شاة ، فصنعت ، فأمر نبى الله - صلى الله عليه وسلم - بسواد البطن فشوى ، وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا قد حز له حزة من سواد بطنها ، إن كان شاهدا أعطاه إياها ، وإن كان غائبا خبأها له ، ثم جعل فيها قصعتين ، فأكلنا أجمعون وشبعنا ، وفضل فى القصعتين فحملته على البعير "

(الغائب ليس له نائب) كلام غير صحيح ، وما أشد سرور الإنسان الغائب حين يقبل على أهله ، وإخوانه ، ورفاقه فيجد له نصيبا خبأ من رزق حضر عند غيابه .

خبأت عائشة للنبي - صلى الله عليه وسلم - من هدية طعام كان يحبه ، فلما دخل أخبرته ، فقال إني صائم ، فما لبث أن أكل منها ، فلما ذكرته بقوله إني صائم قال : إنه صيام تطوع .

سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك

روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن أبى سلمة وهو ابن أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : أكلت يوما مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاما ، فجعلت أكل من نواحى الصفحة ، فقال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كل مما يليك " .

وفى رواية له عن وهب بن كيسان أبى نعيم قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطعام ومعه ربيبة عمر بن أبى سلمة ، فقال : " سم الله ، وكل مما يليك " .

وروى عن عمر بن أبي سلمة أيضا قال : كنت غلاما في حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت يدي تطيش في الصفحة ؛ فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا غلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد "

١- أن تذكر اسم الله على طعامك يبارك لك فيه

٢- وأن تأكل بيمينك كذلك إن كنت قادرا على استعمالها وإلا فشمالك يمين ؛ لأن الأمر ليس بإرادتك

٣- وأن تأكل مما يليك متى كان الإناء به نوع واحد من الطعام ، فما أمامك هو الذي أمام غيرك ، وذلك حتى لا يشتمز الناس منك .

تزكية ذات بعد بعيد

تميل النفس الزكية إلى من يكرمها ، وتحفظ له الود لما له عليها من يد وهناك تزكية ذات بعد بعيد ، لا يدركها إلا أولو العزم من الناس ، وهي أن تميل إلى إنسان يكرم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -

أن تسمع بإنسان يجبر خاطر المظلوم ، يواسي المحتاج ، يعين الضعيف ، يعطى الفقير ، أنت لم تفد من خيره ، لم يدخل جييك شيء من ماله ، لم يسكن بيتك شيء من خيراته ، ومع ذلك فأنت تحبه ، لأنه كريم مع إخوانك ، وقد دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم -

نعم روى أحمد في المسند (٦ / ٢٦) أن عائشة - رضى الله عنها - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " اللهم من رفق بأمتي فافرق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه "

وقد كانت - رضى الله عنها - تبغض معاوية بن حديج لما قيل إنه قتل أخاها محمد بن أبي بكر في الفتنة ، فلما دخل عليها جماعة منهم عبد الرحمن بن ثمامة المهري وكان من شارك في الفتوحات بقيادة معاوية بن حديج ، قالت : ما فعل أميركم ؟ قال : ما نقمنا عليه شيئا ، وأثنوا عليه خيرا ، قالوا : إن هلك بغير أخلف بغيرا ، وإن هلك فرس أخلف فرسا ، وإن أبى خادم أخلف خادما

فقالت عائشة : أستغفر الله ، اللهم اغفر لي ، إن كنت لأبغضه من أجل أنه قتل أخي ، وقد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ... وذكرت الحديث .

هذه نفس زكية استحال البغض فيها حبا لما علمت من شمائل المغبوض مع الناس . وروى مسلم في صحيحه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله يعذب من يعذب الناس "

وفي البخاري : " ارحموا ترحموا ، ومن لا يرحم لا يرحم ، والراحمون يرحمهم الرحمن "

إن مثل هذا الحديث يعالج الأنانية ، وغيابه يتيح الفرصة كبيرة لانتشار السوء ، مثلا أن تسمع أن إنسانا كريما مع الناس فتقول : لم يأتني منه شيء ، أو وأنا مالى

الترغيب في التزكية

ذلك الترغيب الصريح في قوله - عز وجل - في سورة طه الآية (٧٦) :

" جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى "

إننا في حاجة إلى إعادة قراءة هذه الآية والتي قبلها (٧٥) حيث يقول الله تعالى :

" وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى "

فإن هذه الآية تفسر معنى " تزكى " ، فلا زكاة بلا إيمان ، ولا زكاة بلا عمل الصالحات ، وعمل الصالحات شامل العبادة والمعاملة التي لا حدود لها ، فقط نريد أن نبين أن من أعمال المتزكى الصالحة حسن خلقه ، الذى يصل به إلى ما يصل الصائم فى الهجير ، كما جاء فى الحديث الذى أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد وغيره من أئمة الحديث

نحب ان نبين للناس أن التزكية بهذا النفى من ذكر الجزاء العظيم مهم جدا ، ومن الأعمال الصالحة ما هو على الفطرة السوية ، كتقليم الأظافر ، وقص الشارب ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، والختان

ومن الأعمال الصالحة التبسم فى وجوه الناس ، وإفشاء السلام ، والسكينة والوقار ، وتشميت العاطس ، وألا يمشى فى نعل واحد ، واتقاء الموبقات ، وهجر البدع ، والاستئذان ، واجتناب قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، والحلم عند الغضب ، وصدق الحديث ، والتهادى والتحاب ، وألا يقول هلك الناس ، والسهولة واللين ، وإكرام الضيف ، وكظم الغيظ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرفق فى كل الأمور ، ومنه الرفق بالحيوان ، والتجاوز عن القرماء ، والإنصاف للعلم ، وحب العلماء ، وعدم إغضابهم ، والتأدب معهم ، وعدم التطير ، وزيارة المريض ، عشرات الأبواب ومئات الموضوعات فى بناء الشخصية المسلمة على التزكية .

صدقة الزرع

جاء رجل ممن صحب يعلى بن أمية وهو أمير على اليمن إلى فتح (فنج) بن دحرج وهو يسقى زرعته ، ومعه جوز ، فقال له : أتأذن لى أن أغرس من هذا الجوز على هذا الماء ؟

فقال فتح : وما ينفعنى ذلك ؟

قال : "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : من نصب شجرة ، فصبر على حفظها ، والقيام عليها حتى تثمر كان له بكل شىء يصاب من ثمرها صدقة عند الله "

قال فتح : "أنت سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" قال : "نعم يا فتح ، فأنا أضمنها الله " ، فغرز جوزة ثم سار ، قال حامد بن يحيى : "فهى ثم يؤكل منها إلى اليوم" الاستيعاب ٣ / ٣٣١ .

إن أصحاب النفوس الزكية يزرعون الأشجار والثمار ليأكل الناس ، والحيوان ، والطير ، ولهم بذلك صدقة كما جاء فى هذا الحديث ، وما رواه البخارى وقد دخل النبى - صلى الله عليه وسلم - بستانا فيه أم سليم فسألها : من غرس هذا النخل مسلم أم غير مسلم ؟ ، فقالت : مسلم ، ففرح وقال : "ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طير إلا كتب له به صدقة "

أمة يشغلها تخضير الأرض وتعميرها لا تخريبها وتصحيرها هى أمة زكية . وحديث القرآن الكريم عن الجنات والشجر حديث طويل وهو ما أعبر عنه بصورة الكون فى القرآن الكريم قال ربنا - عز وجل - : " هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا
ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ
يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ النحل (١٠-١٨)

تزكية النفوس والمواريث

والد البنات علم من الدين أنه لا ذكر له ، وأنه بعد وفاته سوف يدخل مع
بناته آخرون من إخوته أو من ذكور أقاربه ، فلبناته الثلثان من التركة ، نظر
فوجد أن أقاربه في غنى ، وأن بناته مساكين ، فقام وكتب كل ممتلكاته لبناته ،
وبعضهم حصل على رضا إخوته ، وهذا رضا غير معتبر شرعا ؛ إذ لا يعتبر
الرضا إلا بعد وفاة المورث

والله عز وجل يقول بعد آيتي المواريث في سورة النساء الآيتين (١٣-١٤)

﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
مُهِينٌ

لا تتزكى النفس بتجاوز حدود الله عز وجل بحال من الأحوال ، ولا تسعد
نفس بما حرم الله ، إنما هي في وهم السعادة من تزيين الشيطان

صلاة الجماعة أزكى

روى قباث بن أشيم الليثي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
" صلاة رجلين يؤمهما أحدهما أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ، وصلاة
ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى " رواه البخارى في
التاريخ الكبير (٣ / ١٩٧) والبيهقى في السنن (٣ / ٦١)

التزكية في الجماعة التي من ثمرتها النشاط في أداء العبادة ومنظرها يقر أعين
الناظرين ، " تَرْنَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَرْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَتَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " الفتح : (٢٩)

ليس من التزكية كثرة العدد بلا نظام ، وإنما منها النظام ولو كان المنتظمون قليلا .

تزكية نفس تشكو زوجها

ذكر ابن عبد البر وغيره أن امرأة جاءت تشكو زوجها لعمر - رضى الله عنه - فقالت : نعم الزوج زوجى ، يعمل بطاعة الله ، يقوم الليل ويصوم النهار ، فأثنى عليها عمر ، واستغفر لها ، وكان في مجلسه كعب بن سور الأزدي ، فقال لعمر : لقد جاءتك تستعديك على زوجها ، فاستدرك عمر وطلب إليه أن يحكم بينهما ؛ فحكم كعب بن سور الأزدي على زوجها بأن يعطيها ليلة من أربع ، أى يتفرغ للعبادة ثلاث ليال ، ويعطيها حقها ليلة لأن الله - عز وجل - شرع للرجل أربعاً ، فكأنه متزوج من أربع ، لكل واحدة ليلة ، وسر ذلك عمر - رضى الله عنه - ، وقال لكعب : اذهب فأنت قاض على أهل البصرة "

الاستيعاب ٣ / ٣٧٧

وقد جاء عمرو بن العاص لزيارة ولده عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - بعد أن زوجه ، فسأل امرأته عن حاله معها ، فقالت : نعم الزوج زوجى يقوم الليل ويصوم النهار ، ففهم عمرو ، وقال لولده : لقد زوجتك حرة من العرب فعصلتها .

الإعانة على المروءة

من نواذر الإنفاق أن تعين الرجل ذا المروءة على مروءته إذا حل الجذب كان لبيد بن ربيعة أبو عقيل الشاعر المعروف رجلاً شريفاً في الجاهلية والإسلام

وقد نذر نذراً ألا تهب ريح الصبا إلا ذبح وأطعم ووفى بنذره ، حتى نزل الكوفة وضاعت الحال فخطب الوليد بن عقبة - وكان أميراً عليها لعثمان بن عفان وقال : إنكم قد عرفتم نذر أبى عقيل ، فأعينوا أخاكم ، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة ، وبعث إليه الناس ؛ ففضى نذره ، واجتمعت عنده ألف راحلة " الاستيعاب ٣ / ٣٩٣

سقط النذر عن لبيد ، لعدم استطاعته ، فهذا الدين يسر بلا شك ، ولكن هناك من ينظر إلى البعد النفسى والمعنوى فيعين أخاه على مروءته ، وهذا لون من الإنفاق أراه في سبيل تزكية النفوس كالمتطوع ، الذى يبلغ بتطوعه درجة عالية .

طائفت من الشيطان

يقول الله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" الأعراف (٢٠١)

إن الطائفت من الشيطان لن يأتى بخير ، إنما يدفع الإنسان إلى أن يرتكب الجريمة لأنفه الأسباب .

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم الخميس ١ / ٧ / ٢٠٠٩ فى صفحة الحوادث أن رجلاً يعمل بائع فاكهة أرسل أخاه الطفل الصغير ليشتري فطوراً ، فعاد الطفل بلا فطور ، فسأله : أين الفطور ؟ قال : فقدت الجنيهاً الثلاثة ؛ فقام على الفور بإلقاءه من فوق سطح المنزل ،،

قس على ذلك عشرات الحوادث التي تقع فيها الجرائم الشنيعة لأتفه الأسباب السبب الوحيد أن طائف الشيطان لم يجد أمامه من حاجز يحول دون وقوع الجريمة ، يقيني أن هذا الأخ الذي ارتكب الجريمة بكى طويلا بعد ما أفاق ، وندم ، ولكن بعد أن ضاع أخوه كابن آدم الأول الذي أصبح من النادمين . والله عز وجل يقول في سورة الأحزاب الآية (٤١) : "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا"

ومن ثمرات الذكر الكثير أنه يحول دون طائف الشيطان ، ترى لو أن هذا الأخ الكبير كان يذكر الله عز وجل قبيل أن يعود إليه أخوه ليخبره بأنه فقد الجنيهاث الثلاثة ماذا تتصور من علاجه هذا الموقف ؟ أكان يصل بأى حال إلى ما وصل إليه من وحشية وعدوان ؟

أم أن الجو الذي كان فيه بالضرورة كان سيملى عليه رأفة ورحمة ، حتى لو غضب ، فإن غضبه وهو في حال ذكر الله سوف يكون أقل من غضبه وهو تحت تأثير الشيطان والأوهام .

ترى لو أن هذا الأخ الذي كان ينتظر أخاه كان يقول : ربنا ولك الحمد ، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، وتفكر في صحته التي استيقظ على وجودها بخير فحمد الله - عز وجل - على ذلك ، وأثنى عليه بما هو أهله أكان سيحدث منه ذلك .

التزكية من أجل قرّة العين

في سورة الفرقان الآية (٧٤) ، يقول الله عز وجل : "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" وفي سورة القصص الآية (٩) : "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ / ٤٢٣ ، في ترجمة سيرين أخت مارية القبطية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى فرجة في قبر ابنه إبراهيم ، فأمر بها فسدت ، وقال : إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقرر عين الحى ، وإن العبد إذا عمل شيئا أحب الله منه أن يتقنه "

فتأمل ، كيف يكون الإتقان الذى يجازى عليه العبد من أجل قرّة العين علينا ان ننادى فى الناس ، وأن تقول لهم : ارفعوا الأذى من كل مكان ، من أجل أن تقرّوا أعين الناس ، لوجه الله عز وجل ،

- الأماكن العامة ، المواصلات العامة ، الرجل يركب قطار الدرجة الأولى ، وينزل في محطة تاركا أمام مقعده وتحتة نفاياته وبقاياها ، من آثار أكل وشرب ، لا يعنيه أن الذى سيجلس مكانه سوف يتضرر
- الحمامات العامة ، من يقضى حاجته بها يتركها غير نظيفة ، لا يهون عليه أن يزيل آثاره ، وهناك من سيدخل بعده فيرى أقبح المناظر
- النبى - صلى الله عليه وسلم - يدخل المسجد ، ويجد نخامة على جداره ، فيزيلها - صلى الله عليه وسلم - حتى لا تؤذى الناس .

وفي ترجمة سودة بنت مسرح يقول ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٤٢٢ : " كانت قابلة لفاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين وضعت الحسن فلفته في خرقة صفراء ، فنزعها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولفه في خرقة بيضاء "

وفي حديث مسلم الذي رواه في صحيحه أن أبا الهيثم التيهاني حين زاره المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه أبو بكر وعمر - رضی الله عنهما - صعد نخلة وكان رجلا كثير النخل كثير الشياه ، وأتى بألوان من البلح الأصفر والأحمر والرطب الأسود ، فلما قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : هلا انتقيت رطباً ؟ ، قال : ليأكل كل مشتهاه يا رسول الله "

وما زال في الناس من يجمع لك الألوان ولو على قلة ليدخل على نفسك البهجة والسرور ، ربع كيلو من فاكهة ، وربع من أخرى ، وربع من ثالثة لترى ألوانا .

قل له : أصبت السنة ، واحتسب ثواب ما عملت عند الله ، ففي الإسلام أبواب مهجورة هي منه ، وإن ظننا الناس عادة وبيئة وعرفا .

كان صلى الله عليه وسلم يرى صاحب الهدية أنها طريفة

في مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٧) عن أسيد بن أبي أسيد : " أهدى يومئذ - يوم الحديبية - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ودان ثلاثة أشياء : معيشا ، وعترا (نبات يخرج منه مثل اللبن) ، وضغابيس (صغار القثاء) ، وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل من الضغابيس والعتر ، وأعجبه ،

وأمر به فأدخل على أم سلمة زوجته ، وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعجبه هذه الهدية ويرى صاحبها أنها طريفة "

وهذا من خلق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذي يزكى به النفوس ، يرى صاحب الهدية أن هديته طريفة ، لا يتجاهلها ، ولا يتجاهله ، لقد تعب وعانى ، وجاء بالجهد ، وقدم خيرا بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم -

من الناس - والحمد لله - من فيه هذه الخصلة الطيبة فهو يريك أنك أحسنت إذا اخترت له هدية طيبة

ومنهم والعياذ بالله من يريك أنك أتيت بدون ، وأنه يقبل منك هديتك جبرا لحاظرك ، وأنه يمن عليك بذلك

نريد أن ننصح الناس خصوصا الزوجات بتلك الخصلة الطيبة فتبدى لزوجها - وكذلك الزوج - أنه جاءها بطريف ليستمر الخير بينهم .

التربية على النظام

روى الشيخان البخاري ومسلم عن سهل بن سعد - رضی الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطى هؤلاء ؟

فقال : لا والله يا رسول الله ، لا أؤثر بنصيبى منك احدا ، فتله (وضعه) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يده "

ما أزكى نفسا طهرها الله واصطفها وجعلها آية ، وأنزل عليها كتابه ، وثبتها وأيدها بالمعجزات ، ليس في الوجود نفس كنفس محمد - صلى الله عليه وسلم - يقول لغلام : أتأذن لي ؟

أى أن الحق حقك والشراب من نصيبك أولا لأنك على اليمين ، فإن شئت شربت وإن شئت أعطيت الكبار كما جاء في رواية فإذا الغلام الفطن يقول : لا أؤثر بنصيبى منك أحدا ، فوضعه في يده ، إنها التربية على النظام .

تزكية النفوس في سياق الرفق

إن الله - تعالى - رفيق ، فهو يحب الرفق كذا روى الشيخان عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله "

وروى عنها مسلم في صحيحه أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه "

وفي حديث جرير بن عبدالله الذى رواه مسلم قال - رضى الله عنه - : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من يحرم الرفق يحرم الخير كله " وما عسى أن يكون الخير كله سوى التوفيق لأهم شمائل المسلم - وما يسبغه الله - عز وجل - من نعم ظاهرة وباطنة على أهل الرفق الذين لا يقسو بعضهم على بعض ، والذين يرحم بعضهم بعضا ، ويواسى بعضهم بعضا .

الحياء

الحياء شعبة من شعب الإيمان ، روى الشيخان عن ابن عمر : " مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : دعه فإن الحياء من الإيمان " . وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه " متفق عليه

قال العلماء كما ذكر النووى في رياض الصالحين ص ٢١٠ : " حقيقة الحياء : خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذى الحق " .

تزكية النفس بادكار ما كان

أمرنا ربنا - عز وجل - أن نذكر أحوالنا التى سبقت ، والتى تغيرت بفضل الله علينا ، قال تعالى في سورة الأنفال الآية (٢٦) : " وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَفَاوَنَكُمُ وَأَيْدِكُمْ يَنْصُرُهُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "

كم كنا قبل أن نسكن البيوت الواسعة في مساكن ضيقة ، هذا الرجل الذى ينام في حوض حمامه (البانيو) كان ذات يوم يمسك بصفيحة ينتظر دوره في حمام مشترك ليقضى حاجته ، وهو الآن ينام في حجرة نوم وحده ، وقد عزل

زوجته ، وقلد الغربيين ومن على شاكلتهم وقد كان ينام هو وزوجته وأولاده وضيوفه من أهل قريته في حجرة واحدة سقفها من البوص وتجري فيها الحشرات ، والأبرص على جدرانها في سباق فهلا حمد الله .

إن زكى النفس من يتخذ من انتقال أحواله سبيلا إلى شكر الله عز وجل ، وهو لن يسلك هذا السبيل إلا بالتذكر .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - يحكى لنا في ذلك قصة ثلاثة ، أخفق اثنان منهم وفاز واحد ، وذلك فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ثلاثة من بنى إسرائيل أراد الله - عز وجل - أن يختبرهم ، كان أحدهم أبرص والآخر أقرع ، والثالث أعمى

جاءهم ملك ، وقال للأبرص : ما تشتهي ؟

قال : جلدا حسنا ، فقد قدرني الناس

قال : أى المال أحب إليك ؟

قال : الإبل ، فمسح عليه ، فإذا جلده حسن ، وأعطاه ناقة عشراء (حامل) وقال : يبارك لك فيها ،

وفعل هذا مع الثانى الذى انتهى شعرا حسنا وبقرة عشراء ، حيث كان البقر أحب المال إليه ، مسح على رأسه فإذا هو ذو شعر حسن وأعطاه البقرة وقال : يبارك لك فيها

وأما الأعمى ، فرد الله إليه بصره ، وبارك له كما بارك لصاحبيه في الغنم ، حيث كان أحب المال إليه .

وأثمرت البركة عندهم ، حتى كان لكل واحد منهم واد من المال الذى أحبه ، وجاء الملك كل واحد منهم على هيئته القديمة ، وقال لمن كان أبرص : أنا ابن سبيل ، جئتك لتعطينى شيئا أتبلغ به في سفرى

قال لمن كان أبرص : أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال أن تعطينى بعيرا أتبلغ به ، في سفرى .

فقال الأبرص : الحقوق كثيرة

قال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يستقذك الناس فأعطاك الله جلدا حسنا ، فقيرا فأعطاك الله ؟

قال : هذا المال ورثته كابرا عن كابر

قال : إن كنت كاذبا صيرك الله إلى ما كنت

وأتى الذى كان أقرع على هيئته ، وقال له كذلك ، ولقي مثل رد الأول ، ولقي الأعمى ، فقال له : أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفرى ، فقال الأعمى : كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله - عز وجل - ، فقال الملك : أمسك مالك فقد ابتليتكم ، وقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك .

وقد لاحظت في هذا الحديث الصحيح الشريف أمرا مهما تكرر ، وهو أن الملك قال لكل واحد من الثلاثة : أسألك بالذى أعطاك كذا وكذا ، ولم يقل : أسألك بالله الحي القيوم ، وهو هو

قد رأيت أن في ذلك فائدة عظيمة وهى المعين على التذكر ، نعم ، كان من الممكن أن يقول له : أسألك بالله الرحمن الرحيم ونحوه ، ولكن جاء بما يعينه

على التذكر ، ولو أن إنسانا قال : والذي أعطاني كذا وكذا والذي سترني ، والذي وذكر نعم الله عليه ، لكان ذلك أدعى إلى تذكره .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " والذي نفسى بيده " ، جمع كل شيء - صلى الله عليه وسلم - في هذه العبارة ظاهرا وباطنا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا

جرب أيها القارئ أن تقسم بذلك ولو في نفسك ، جرب بأن تقول : والذي سترني لأفعلن الخير ، وكم سترك الله في مواطن لو اطلع عليك فيها الناس لتغيروا جميعا معك

قل : والذي نجاني يوم كذا ، كان حكيم بن حزام - رضى الله عنه - يقول : لا ، والذي نجاني يوم بدر ؛ لأنه الذي نجا من شرية شرها كل من شرب منها قتل إلا حكيم بن حزام ، فظل يذكر ذلك عمره - رضى الله عنه - .

لو أن إنسانا فعل ذلك لكان أدعى للتذكر والأمر فيه سعة أ وهذا الحديث أهديه لكل من ينسى ماضيه ويدعى نساغير نسبه ، وأن فيه عرقا تركيا ، وأن أمه من الشام ، وأن أباه الباشا التقطها في رحلته التجارية الرابعة ، وكل ذلك كذب .

تزكية النفس والفطرة

محبول كل إنسان على حب وطنه ، وحب أهله ، وليس اشتياقه إلى وطنه وأهله بدعة ولا ضعفا في الدين ، والله عز وجل يقول في سورة البقرة : " وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ " ، وفي الحديث : " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

سواهما " ، فالحب مثبت للأهل والأوطان وزينة الحياة الدنيا ، لكنه لله ورسوله أشد . تلك هي الوسطية ، وتلك هي العبقريّة

بما اتفق عليه الشيخان عن مالك بن الحويرث قال : " أتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن شعبة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحيما رفيقا ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا ، فسالنا عمن تركنا من أهلنا ؛ فأخبرناه ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم ، فأقيموا فيهم وعلموهم وسروهم ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم "

تزكية الطعام بذكر اسم الله عليه

روى الترمذى الحديث الحسن عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل طعاما في ستة من أصحابه ، فجاء أعرابى ، فأكل بلقمتين ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما إنه لو سمي لكفاكم "

لو قال هذا الأعرابى : بسم الله الرحمن الرحيم ، أو بسم الله لكفانا هذا الطعام القليل ، أكله في لقمتين اثنتين ، وانتهى الأمر

فلنعلم أنفسنا ، ولنعلم أولادنا والأجيال كما علم النبي - صلى الله عليه وسلم - الدنيا ، أن نذكر اسم الله - عز وجل - على الطعام ؛ فإن ذلك يزكيه وينميّه ، ويبارك فيه ، وأن نحمده عز وجل .

روى أبو داود والترمذى عن معاذ بن أنس - رضى الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه " .

خرج من عندنا وهو مسرور

جملة حالية ، قد تمر عليك دون أن تشعر بها ، ولو وفقت إلى الخير لو فقت عندها "وهو مسرور"

روى أبو داود عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج من عندها وهو مسرور ، ثم رجع إليها وهو كئيب ، فقال : إني دخلت الكعبة ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما دخلتها ، إني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي "

لنا أن نسأل : لماذا خرج - صلى الله عليه وسلم - من عند زوجته عائشة وهو مسرور

والجواب يعرفه من هداه الله إلى الحق ، كل شيء يدخل السرور على قلبه فعلته - رضي الله عنها - ، ويكفى أن نعرف أنها عندما كانت تغضب كانت لا تهجر شيئاً إلا اسمه ، فما بالها عند الرضا .. لم تقل لا .. لم تهجر .. لم تفحش .

يا أيتها الزوجة المسلمة ، احرصى على أن يخرج زوجك من عندك وهو مسرور ، فهذه عبادة ، لا تكثري من المطالب ، ولا من الأسئلة البغيضة هل ستتأخر ؟ .. هل ستقبض اليوم المكافأة .. هل .. هل .. هل ..

ثم انظروا إلى رحمة - صلى الله عليه وسلم - بأمته .

اكتف بالنهي ولا تحاول أن تعرف السبب

ضرب رجل زوجته ، قل له : لست من خيار الناس ، نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ضرب الوجه وعن التقبيح وعن وعن ، وهكذا ، ولا تقل له : فيم ضربتها

روى أبو داود عن عمر بن الخطاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته " ، لأنك إذا سألته فلربما قال لك سوءاً ، فهل تحب أن تعرف السوء في امرأة جارك أو أخيك .

اليوم عند الأخ تفاصيل سوءات امرأة أخيه تعمل وتعمل وتعمل وتعمل قال لها كذا فردت عليه بكذا ، نهاها عن كذا ، ولكنه أصرت ، إنها تكلم رجلاً في المحمول ، وتساfer وحدها وتذهب إلى أمها ، وهناك تلتقي بجارها وكان خطيباً لها قبله ، إنها تغيظه

يا ليت عبارة : ما علمت عليها من سوء ، تسود الأمة والمجتمعات المسلمة ، وكذلك لا ينبغي للزوج أن يتطوع ويقول ما في زوجته من عيوب دون أن يسأله أحد .

أنت إنسان لا شيطان

من إنسانيتك أنك إذا دخلت بيتك الذي هو ستر الله عليك ، وفعلت مع زوجتك ما فعلت ، فلا تحدث بذلك أحداً

روى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى بالمسلمين ، وراءه رجال ونساء ، ثم قال بعد الصلاة : هل منكم الرجل الذي أتى أهله ، فأغلق عليه باب ، وألقى عليه ستره ، واستتر بستر الله ، قالوا : نعم ؛ قال : ثم يجلس بعد ذلك فيقول : فعلت كذا ، فعلت كذا ؟ ؛ فسكتوا ، فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فسكتن ،،

فجئت فتاه كعاب عل إحدى ركبتيها وتناولت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليراها ويسمع كلامها ؛ فقالت : يا رسول الله ، إنهم ليتحدثون ، وإنهن ليتحدثن ، فقال : هل تدرون ما مثل ذلك ؟

فقال : إنما ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه "

وما أكثر الذين يتحدثون في زماننا رجالا ونساء خصوصا في العمل ، وليس هذا من الدين

التزكية بالتحبيب لا بالتخيب

روى أبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ليس منا من خيب امرأة على زوجها ، أو عبدا على سيده "

ليس منا : ليس ممن تحلى بكامل صفاتنا ، وكان زكى النفس مثلنا من خيب امرأة على زوجها ، أى أفسد امرأة على زوجها أو خادما على صاحب عمل في هذه الأيام وقد يكون هذا المفسد أم الزوجة نفسها ، أو أباه أو أخاها أو أختها ، ولهم في ذلك طرق ، منها ذم عيشتها ومنه تشجيعها على الجرأة ضده ، ومنها أن سيد سيده يتمناها .

وقد يكون هذا المفسد دعوة فاسدة باطلة لم تراع المعادلة ، أى لم تعظ الزوجة بحسن المعاشرة كما تسلط الأضواء على ما يجب على الزوج من حقوق زوجته

إن من تزكية النفس أن تحب الزوجة في زوجها ، وأن تحب الزوج في زوجته ، والعامل في صاحب العمل ، وصاحب العمل في عامله ، وليس من التزكية أن تسعى فسادا بين متفقين حتى يفترقا .

الفصل الثالث
زماننا ما سرنا زماننا ما سرنا

نزكية النفوس

بين الطاعات والمعاصي

لا تحقرن من المعروف شيئا

فتح الشرع أبوابا لا حدود لها من الطاعات ، يتعلق منها بتزكية النفوس الكثير ، ومن ذلك :

١- كف الشر عن الناس

فيما رواه الشيخان من حديث أبي ذر أنه قال : " يا رسول الله ، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؛ قال : تكف شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك " .

مأجور عن كف شره عن الناس ؛ فماذا يكلفك ذلك ؟

٢- وفي حديث مسلم عن أبي ذر كذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : " عرضت على أعمال أمتي ، حسناتها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يباط عن الطريق ، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن " .

فأرفع حجرا أو شوكة يغفر الله لك كما جاء في حديث البخاري : " أن رجلا كان يمشي في الطريق ، فوجد شوكة فنحاهها عنه حتى لا تؤذي الناس ، فشكر الله له ، فغفر له " .

٣- أن تلقى الناس بوجه طلق صدقة يثيبك الله - تعالى - عنها ويجزيك خير الجزاء ، روى مسلم عن أبي ذر قال : " قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " .

طلاقة الوجه غير عبوسه ، أفرد ملاحك ونور جبينك كما نوره الله ، لا تجعل الناس على يأس منك ومن خالقهم عزوجل ، يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وقل قولا كريما

٤- أن تعط نفسك حقها : روى البخاري عن وهب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : " آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء ، فرأى أم الدرداء مبتذلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ، ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء ، فصنع له طعاما فقال له : كل فإني صائم ، قال : ما أنا بأكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ؛ فقال له : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال له : نم ، فلما كان آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن ، فصليا جميعا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأثنى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له ذلك فقال : صدق سلمان " .

تصور أنك ساعة تنام لتجدد نشاطك أنك في عبادة وفي طاعة ، وساعة تخلو إلى زوجتك وتداعبها وتعاشرها أنك في طاعة .

٥- وأنت في رحمة الله تمشي وأنت تزور مريضا

٦- وأنت في ظل الله في يوم لا ظل إلا ظله إذا أنظرت معسرا أو عفوت عنه

٧- وأن تدل ضالا على طريق ، يسألك فتقول له من هنا أو من هناك

٨- وتعين ضعيفا ، ذلك الذى تسميه إنسانية ومروءة ، به كله وردت النصوص الصحيحة على أن صاحبه مأجور

٩- وأن توصى رجلا بالحق ، وأن توصيه بالصبر ؛ ألا ترى قوله تعالى : " وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ "

١٠- وأن تخلص النصيحة لكل مسلم : روى مسلم في صحيحه عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

١١- ألا ترضى بمنكر إن كنت عاجزا عن تغييره بيدك أو لسانك أو لم تكن من أهل التغير باليد واللسان

روى مسلم في صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " .

١٢- أن تعطى الطريق حقها : روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " إياكم والجلوس فى الطرقات ، فقالوا يارسول الله ، ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ؛ قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " .

١٣- أن تخفف إن كنت إماما على الناس فى الصلاة ، وأن تطول ما شئت إن صليت وحدك .

روى الشيخان عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء " .

وروى البخارى عن أبى قتادة الحارث بن ربعى قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها ؛ فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه " .

١٤- ألا تحسد إنسانا على نعمة

١٥- وألا تزيد فى سلعة من أجل أن تخدع مشترى " المناجشة "

١٦- وألا تبغض مسلما

١٧- وألا تتسرع بإعطائه ظهره

١٨- وألا تبيع على بيعه

١٩- وألا تحقره

٢٠- وألا تسيء الظن به ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة .

قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحقره ، ولا يخذله ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه " .

٢١- أن تجيب من دعاك إلى طعامه ، حتى وأنت مستفيد لك طاعة
أن تجبر خاطر أخيك إذا دعاك خصوصا على وليمة العرس ؛ ومن
مناقب عمرو بن الجموح - رضى الله عنه - شهيد أحد أنه كان يولم على
عرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٢٢- أن تشمت العاطس إذا حمد الله .

٢٣- وأن تحفظ سر أخيك .

٢٤- وألا تجهز بمعصية ، سترك الله عز وجل فاحفظ ستره عليك ،
ففى حديث البخارى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يقول : " كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من
المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه ،
فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه
ويصبح يكشف ستر الله " .

٢٥- أن تصلح بين الناس ، ألا ترى إلى قول الله - عز وجل - فى
سورة النساء (١١٤) : " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
إِتِّعَاءَ مَّرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " .

لا تقل : أنا مالى ، فليأكل بعضهم بعضا .

٢٦- وأن تطعم زوجتك ، سبحان الله ، حتى من تجب عليك
نفقتهم إذا احتسبتها صدقة كانت لك صدقة ، كما جاء فى حديث
البخارى عن ابن مسعود ، وكذا رواه مسلم ، فهو من المتفق عليه .

٢٧- وأنت فى طاعة الله متى كنت ذا عفة واستغناء ، روى البخارى
عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " من يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغنه الله " .

٢٨- أن تصل رحمك ولو بالسؤال إن كانوا فى غنى عن مالك ، والله
عز وجل يقول فى سورة النساء (١) : " وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ " .

٢٩- وأن تكرم ضيفك ، عادة ، ومروءة ، وميراث وقل ما شئت ،
ولكن احتسب ، " مؤمن بالله واليوم الآخر من أكرم ضيفه " كما جاء
فى حديث البخارى .

٣٠- وأن تكرم جارك ، روى الشيخان عن ابن عمر وعائشة قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما زال جبريل يوصينى بالجار
حتى ظننت أنه سيورثه " .

٣١- وأن تقول الخير

٣٢- أو تلزم الصمت ؛ فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليصمت .

٣٣- أن تلزم أبويك تسعدهما وتقضى حاجتهما .

٣٤- وأبر البر أن تصل ود أبيك ؛ روى مسلم عن ابن عمر - رضى
الله عنهما - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن أبر البر أن يصل
الرجل ود أبيه " ، وفيه - أى فى مسلم - : " أن رجلا من الأعراب
لقى ابن عمر - بطريق مكة ، فسلم عليه عبدالله بن عمر ، وحمله على

حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال عبدالله بن دينار : أصلحك الله ، إنه من الأعراب ، وهم يرضون باليسير ، فقال عبدالله بن عمر : إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، وإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه " .

٣٥- ألا تكون سببا في سب والديك ، ألا تشتم أحدا بأبيه أو تسبه فيسب أباك ، طاعة أن تحفظ هذا ، ومعصية أن تكون السبب ، بدليل حديث البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، حيث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من الكبائر شتم الرجل والديه ، قالوا : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ ، قال : نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه " .

٣٦- وإذا كانت لك صلة بإنسان من جوار أو زمالة ثم باعدت بينكما الأقدار ، ولقيته فأحسن إليه ، لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " إن حسن العهد من الإيمان " ، قال ذلك كما روى ابن عبد البر وغيره حين زارته حسانة المزنية ، وكانت تزوره أيام خديجة وقد أكرمها وأحسن إليها .

كثير من الناس لا يفعل هذا ، لقد رأينا أن أبر البر أن تصل أهل ود أبيك بعد رحيل أبيك وأن حسن العهد من الإيمان ، وهذا كله من تزكية النفوس ، فليس من تزكيتها أن ترمى بالقلل أو أن تكسر الأزيار بعد انقضاء العلاقات

إن من جماليات هذا الدين أن يستمر الود وأن تكون حبال المودة موصولة بين الناس ، فإن انقطعت لسبب ما ، وجاءهم قدر بلقاء كانت البشاشة ، وكان الإحسان ، فحسن العهد من الإيمان .

ويجب أن يتعاون الناس جميعا على هذا المبدأ ؛ فلا تكدر صفو جارك قبل رحيله حتى إذا ما لقيك تذكر حسن جوارك فوصلك .

٣٧- أنس بن مالك من الأنصار ، خدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ، ما قال له أف ، قط ، وما قال له لشيء فعله : لم فعلته ، ولا لشيء تركه : لم تركته ؛ سافر أنس ذات مرة مع جرير بن عبدالله البجلي ؛ فقام جرير يخدم أنسا ، قال أنس : لا تفعل فقال : جرير : " إننى قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا ، فأليت على نفسى ألا أصبح أحدًا منهم إلا خدمته " . متفق عليه .

وروى السهيلي أن وفدا جاء المدينة من الحبشة فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخدمهم بنفسه فقال الصحابة : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : " هؤلاء خدموا أصحابي فلا بد أن أخدمهم بنفسى " هذا من أقوى الدروس فى تزكية النفوس ؛ فكن ممن آلى على نفسه أن يخدم من خدم إخوانه ، لا من الذين يخدمون من خدموه أو خدموا ولده فقط .

٣٨- وارحم الصغير ، لا تنتهز فرصة ضعفه لتقسو عليه .

٣٩- وأكرم الكبير : روى الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا " ، وروى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه "

٤٠- وأحب الناس في الله - عز وجل - ، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ ، قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ ، قال : لا ، غير أنى أحبته في الله تعالى ، قال : " فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه "

٤١- ولا تقهر يتيها

٤٢- ولا تنهر سائلا

٤٣- ولا تجحد نعمة الله عليك ؛ قال تعالى في سورة النضحى :
" فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ "

٤٤- وكل من عمل يدك ، فمن خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وروى البخارى عن المقداد بن معد يكرب عن النبي - صلى الله

عليه وسلم - قال : " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده " سبحانه الله حتى الأكلة أنت تأكلها وتهناً بها بإذن الله مأجور عليها ، إنك في سبيل الله ؛ أهدي هذا لرجل نام في بيته وخرجت امرأته تعمل وتنفق على البيت ؛ وأهديه لرجل قال : أنا عبقرى ، لا أجد ما يناسبنى من عمل فركن بذلك إلى من يعوله .

٤٥- واعف عمن ظلمك

٤٦- وصل من قطعك

٤٧- وأعط من منعك

٤٨- وتواضع لله الذى خلقك يرفعك

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله - عز وجل - "

٤٩- واقصد في مشيك ؛ محال أن يأمرنا الله بأمر لا يثينا عليه

٥٠- واغضض من صوتك ؛ لوجه الله عز وجل

٥١- واصبر على ما أصابك ، وقد سبق بيان ذلك في أوامر القرآن

الكريم

٥٢- واشغل بالك بأعمال الصالحين ، قل لو رزقنى الله مالا لعملت

فيه بعمل فلان ، لا تقل : لو رزقنى الله مالا لأفسدت مثل فلان ، إنك

دون أن تفعل شيئا أو تصرف قرشا مأجور في الأول ، موزور في الثانى

روى الترمذى الحديث الحسن عن أبى كبشة الأنمارى أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم الله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية ، يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا فعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته ، فوزرهما سواء "

٥٣- وقم بخدمة أهلك ، هل فكرت وأنت تعين زوجتك فى المطبخ ، أو تحمل صغيرك ، وتربيته وتزكيه ، أو تنظف مكانك أنك فى عبادة ، وأنك مأجور ، فقط فكرت فى أنك زوج عسرى ، ولست "سى السيد" ، ولم تفكر فى أنك فى ذلك تتأسى بسيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - ، وأنك فى طريق الذين يحبهم الله ويغفر لهم ذنوبهم روى البخارى عن الأسود بن يزيد قال : سئلت عائشة - رضى الله عنها - ما كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يصنع فى بيته ؟ قالت : كان يكون فى مهنة أهله ، يعنى خدمة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . أهدى هذا الحديث لكل من ينام فى بيته آمرا ناهيا ، كأنه استعبد زوجته ، أقول له ليس هذا من الإسلام .

٥٤- واترك الكذب ، والزم الصدق ، أنت فى طاعة مادمت صادقا ، وفى معصية مادمت كاذبا

روى أبو داود عن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه " : ومن حسن الخلق الصدق .

٥٥- ولا تغضب ، وقد سبق الحديث عن الغضب وشره ، وفى حديث البخارى عن أبى هريرة أن رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - أوصنى ، قال : لا تغضب ؛ فردد مرارا قال : لا تغضب " وإذا استشعرت الغضب فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وغير وضعك ، وتوضأ ، وبهذا وردت الآثار الصحيحة .

٥٦- أنت أيتها المسلمة فى طاعة وعبادة مادمت تقومين بواجبك نحو أبنائك وزوجك ، فمما اتفق عليه الشيخان عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته " .

عجيب أمر تلك الشابة التي يدخل عليها طفلها صغير ، يناديها ، يتحرك نحوها ، يرجوها ، ويريد منها شيئاً فتهب في وجهه
- اخرج ... اسكت .. أنت لا تعرف شيئاً ... أنا حزينة .. أنا مهمومة ؛ تحمل الولد أو البنت ما لا يتحملان ؛ كبدان صغيران ، ناشئان في حاجة إلى ماء الرحمة والإشفاق نسيء إليهما بأسوأ ما يكون ، أهذه رعاية ؟

٥٧- لا تتشاءم من شيء ، فليس من الإسلام التطير ، اعلم أن المرء إذا بعد عن شيء نفاه دينه كان في عبادة ، وإذا أصر عليه كان في معصية . فنحن نؤمن بقضاء الله ، وقدره ، وذلك من صلب الدين ، ومن وجد في صدره شيئاً من التطير فلا يصده كما جاء في حديث مسلم الذي رواه عن معاوية بن الحكم السلمي .

٥٨- وابتعد عن الشبهات ، فذلك أحرى أن ينأى بك عن الوقوع في الحرام ، فقد روى الشيخان عن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والرواية بلفظ "سمعت" قال : "من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى ، يوشك أن يدفع فيه" . وقد قال الله تعالى في سورة الإسراء : "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"

٥٩- كل بيمينك إن كنت قادراً على استعمالها ؛ فأنت إذا في طاعة روى مسلم عن سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - بشماله ، فقال : "كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ما منعه إلا الكبر ، فما رفعها إلى فيه"

استجاب الله - تعالى - دعاء نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيه ؛ لأنه كان يستطيع استعمال يمينه ، لكنه كذب لتكبره هناك من لا يستطيع استعمال يمينه ، فشماله التي يقدر على استعمالها يمين بالنية

٦٠- والتمس بركة الله في طعامك وأنت تأكل مع غيرك ، روى أبو داود عن عبد الله بن بسر قال : كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - قصعة يقال لها "الغراء" يحملها أربعة رجال ، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة ، يعنى وقد ثرد فيها فالتقوا عليها ، فلما كثروا جثا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال أعرابي : ما هذه الجلسة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله جعلنى عبدا كريماً ولم يجعلنى جباراً عنيداً ، كلوا من حواليتها ودعوا ذروتها يبارك فيها"

٦١- ولا تكن منانا إذا أعطيت ، ولا تبع سلعة لك بالخلف الكاذب ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ قال :

المسبل (أى المسبل إزاره تكبرا) ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب".

٦٢- وأبر قسمك فى الطاعة ولا تحث ، روى البخارى عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبع : بعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار القسم .

٦٣- وسلم على أهلك إذا دخلت عليهم ، روى الترمذى عن أنس قال : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك " .

٦٤- وتجاوز عن المعسر إن كنت تعامل الناس ، روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه " .

وروى مسلم عن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " حوسب رجل مما كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شىء ، إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ؛ قال الله - عز وجل - نحن أحق بذلك منه تتجاوزوا عنه " .

وروى مسلم عن حذيفة قال : أتى الله تعالى بعبد من عباده آتاه الله مالا ، فقال له : ماذا عملت فى الدنيا ؟ قال : ولا يكتمون الله حديثا قال :

يا رب ، آتيتنى مالك ، فكنت أبايع الناس وكان من خلقى الجواز ، فكنت أتيسر على الموسر ، وأنظر المعسر ؛ فقال الله تعالى : " أنا أحق بذا منك ، تتجاوزوا عن عبدى " ، فقال عقبه بن عامر وأبو مسعود الأنصارى - رضى الله عنهما - هكذا سمعناه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٦٥- اصنع شيئا تريد به وجه الله : فكل ما كان منه وإليه كان له حكمه فى الأجر ، ومن هذا ما رواه مسلم وأبو داود : " من كان منتظرا الصلاة فهو فى صلاة " ، ومنه قول معاذ بن جبل : " وأحتسب فى نومتى مثل ما أحتسب فى قومتى " ، قال ابن عبد البر فى التمهيد ٢٠٤ / ٤ : " وكان ينام بعض الليل ، ويقوم بعضه ، وبالنوم كان يقوى على القيام " .

وذكر رحمه الله أن الفرس إذا شرب من نهر ولم يرد صاحبه أن يسقيه كان له أجره

قال فى ٢٠٤ / ٤ : " وقد يكتب للرجل عمله الذى كان يعمله إذا حبسه عنه عذر من مرض أو غيره " .

وأقول : إن الغنى المتصدق لو افتقر كتب له من الأجر ما كان ينفق فى غناه ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى سورة التين : " إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ " .

٦٦- وإذا كثرت نعم الله عليك فأكثر من " الحمد لله " .

٦٧- وإذا كثرت ذنوبك فاستغفر الله

٦٨- وإذا أبطأ عنك رزقك فأكثر من قول "لا حول ولا قوة إلا

بالله"، وسد على نفسك أبواب الدجل والفتن والخرافات

٦٩- وإذا نزلت مع قوم فلا تصوم من صيام نافلة إلا بإذنهم .

٧٠- وإذا دخلت دار غيرك فلا تجلس إلا حيث أمرك ؛ لأنه أعلم

بعورة داره ، روى الطبراني في المعجم الصغير ٧٢ / ٢ من حديث أبي

هريرة قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ألبسه الله

نعمة فليكثر من الحمد لله ، ومن كثرت ذنوبه فليستغفر الله ، ومن أبطأ

رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن نزل مع قوم فلا

يصوم إلا بإذنهم ، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه ؛ فإن

القوم أعلم بعورة دارهم "

٧١- وإن كنت ذا شعر فأكرم شعرك ، ورجله

٧٢- وطهر ثوبك ؛ روى الأوزاعي عن جابر بن عبد الله - رضى الله

عنهما - قال : " أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأى رجلا

ثائر الرأس ، فقال : أما يجد هذا ما يسكن به شعره ، ورأى رجلا

وسخ الثياب ، فقال : أما يجد هذا ما ينقى به ثيابه " .

٧٣- وإن كنت ذا مال فتصدق منه وأد زكاته إن بلغ النصاب ، جاء

في حديث البخاري وغيره أن رجلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -

أن يحدثه عن الهجرة فقال له : هل لك من إبل ؟ ، قال : نعم قال : هل

تؤدى صدقتها ، قال : نعم ، قال : فانطلق فاعمل من وراء البحار ،

فإن الله لن يترك من عملك شيئا "

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلول قال :

سمعت عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - يقول : " قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - يقول : أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ، ما

من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعدها إلا

أدخله الله بها الجنة ، قال حسان بن عطية : فعددت ما دون منيحة العنز

من رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإمالة الأذى عن الطريق ونحوه

فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة "

لا بأس أن تصنع كما صنع حسان بن عطية ورفاقه فتعد من خصال

الخير رد السلام ، وإفشاءه ، والكلمة الطيبة ، وإمالة الأذى عن

الطريق ، وزيارة المريض ، وإرشاد الضال ، وغير ذلك ، ولتبلغ

الأربعين أو دونها ولكنك يجب أن تعلم أن أعلاها منيحة العنز ، أى

تعطى جارك من لبن عنزك .

وروى الأوزاعي أن حسان بن عطية بعد ما سمع هذا جعل اللبن يوما

له ويوما لجاره ، فما أطيب الذين يسمعون ويعملون .

٧٤- حوار الموفقين

لطالما عرضت على إنسان أمرا فقال لك : لا ، وسألته : لم ؟ أجابك :

هكذا ، وربما قلت له : ما معنى هكذا ؟ ، فقال لك : هكذا

شيء من الضيق لابد أن يضيق به صدرك ، كن مثل هؤلاء الذين ألهمهم الله الصواب فأجابوا وكان جوابهم منتهى التوفيق .

روى الأوزاعي - رحمه الله - قال : أراد عمر بن عبدالعزيز أن يستعمل رجلا على عمل ؛ فأبى ، فقال له عمر : عزمت عليك لتفعلن ، فقال الرجل : وأنا أعزم على نفسي ألا أفعل ، فقال عمر : أتعصيني ؟ ، قال : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " الأحزاب : ٧٢ ، أمعية كان ذلك منهم ؟ فأعفاه عمر

إننا ما زلنا لا نعرف الفرق بين العرض والأمر ، فالأمر يقتضى الطاعة ، إذا كان فى معروف ، لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " إنما الطاعة فى المعروف "

وروى مسلم فى صحيحه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : " لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق "

وروى ذلك كله ابن عبد البر - رحمه الله - فى الاستيعاب ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ، فى ترجمة عبدالله بن حذافة السهمى ، فقد كانت فيه دعاية ، وأمره النبى - صلى الله عليه وسلم - على سرية ، فقال لهم : أليست أميركم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألم يأمركم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطاعتي ؟ ، قالوا : بلى ، قال : اجمعوا حطباً وأوقدوه نارا ، ففعلوا ، فقال : ادخلوا فيها ، فامتنعوا وقالوا : ما آمننا بالله واتبعنا رسوله إلا لنتنجوا من النار ، فصب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعملهم ، وذكر الحديث .

رجل يعرض على زوجته أو على ولده أمرا فيناقشه فيه أو يعترض ؛ فيغضب ، وما ينبغى له أن يغضب ؛ لأنه عرض ، ورفض العرض ليس معصية ، لأن مقتضاه التخير ومن حق المخير أن يختار

وقد تعلمنا ذلك من المصطفى المختار - صلى الله عليه وسلم - فقد شفع عند بريرة بأن تعود إلى زوجها وكان عبدا ، وأما هى فقد صارت حرة ، ومن حقها أن تختار ، فقالت بريرة : أمر أم شفاعة ؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام : شفاعة ؛ قالت : لا حاجة لى فيه ؛ ولو قال : هو أمر لما ترددت لحظة واحدة .

ودخل معن بن زائدة أحد أبطال الإسلام ، وعين الأجواد على المنصور ، فقال له : " كبرت سنك يا معن ، فقال : فى طاعتك ، قال إنك لتتجلد ، قال : لأعدائك ، قال : وإن فىك لبقية ، قال : هى لك يا أمير المؤمنين " الذهبى سير أعلام النبلاء ٧ / ٧١

فهلا قسنا على ذلك حواراتنا ، بدل أن نقول : هل سنأخذ زماننا وزمن غيرنا ، إذا سئلنا عن كبر سننا ، وبدل أن نقول : نتجلد للشامتين ؛ وبدل أن نقول : لا والله ما فى بقية ، إن رجلا داخل القبر ورجلا خارجه .

وزار حماد بن سلمة سفيان الثورى ، فقال له سفيان : يا أبا سلمة ، أترى الله يغفر لمثلى ؟ ، فقال حماد : " والله لو خيرت بين محاسبة الله إياى ، وبين محاسبة أبوى لاخترت محاسبة الله ؛ وذلك لأن الله أرحم بى من أبوى " السير ٧ / ٣١٨

وقد ورد فى الصحيح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " لله أرحم بعباده من هذه المرأة على ولدها " .

فإجابة الموفقين إنما تكون سديدة لكونها مستمدة من كتاب الله - عز وجل - ،
وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -

نعم ، إن الله عز وجل أرحم بعباده من الوالدين على ولدهما
أهذا الكلام يزكى النفوس ، ويحببها في الخالق جل وعلا أم نحو قول الناس :
من يدري ؟ ... يا عالم ... قد تكون الأعمال غير مقبولة ، ونحوه من أساليب
المباعدة

وكان عبدالله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ؛ فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال
: " كيف أستوحش وأنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ؟ " السير

٥٨٥ / ٧

أجاب إجابة الموفقين المتزكين ، ومراده بأنه مع النبي - صلى الله عليه وسلم -
وأصحابه أى مع الكتب يقرأ الأحاديث والسير ، فهو معهم حقا
ولو أن كل جالس في بيته خصوصا طلاب العلم أدركوا هذا الجواب حتى
وإن كانوا يطالعون في كتب الطب والهندسة والرياضيات وغيرها ؛ لأن
الإسلام يدعو إلى العلم ، وأول ما نزل من الذكر الحكيم " اقرأ " - لما شعروا
بوحشة ، وما ضاقت صدورهم ، وكانوا في عمل وعبادة معا .

فهلا تأثرنا بذلك ، وعلمناه الأجيال بدل :

- استوحش والله ولكن ما باليد حيلة

- أو مكره أخاك لا بطل

- لا تحسبن المجد تمرا أنت أكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فكن أيها المسلم حريصا في حوارك ، غير مستنفر ولا محرض على سوء ، فإن
حسن الخطاب من الدين ، وليس منه الفحش ، والإسراع إلى السوء بحال من
الأحوال فكر قبل أن تنطق ؛ فإن اللسان أورد الناس الموارد ، هكذا قال أبو
بكر الصديق - رضى الله عنه - وهو من هو سبقا في الإسلام ، وجهادا وتضحية
وبذلا وحسن صحبة ، وقد جاء في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال : " ما أحد أمن على بماله ونفسه من أبى بكر " ، فقال أبو بكر :
" مالى ونفسى ملك لك يا رسول الله "

فلنتعلم من هذا الحوار الراقى ، ولنتذكر ضروبا من القول غابت عن حوارتنا
وأهمها :

١- التمهيد

مثل قولك يا شيخى ، يا أستاذى ، يا والدى ، يا ولدى ، فهذا منهج الكتاب
العزیز ، وقد قال إبراهيم عليه السلام " يا أبت ... يا أبت "
وقال نوح - عليه السلام - : " يا بنى اركب معنا " وقال لقمان الحكيم : " يا
بنى لا تشرك بالله "

٢- والاعتراض ، بأن تقول لمخاطبك " يحفظك الله " ، " يرعاك الله " وقد
كادت تلك العبارة تتلاشى من حواراتنا وهى مهمة ؛ لأنها تسكن النفوس كما
يسكنها العطاء .

٣- تقديم العفو قبل العتاب ، فقد قال الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم -

- كما جاء في سورة التوبة : " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ "

٤- وإذا عاتبت فلتظهر بعضا ولتعرض عن بعض هكذا فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال الله - تعالى - في سورة التحريم : "وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ"

وقد كثر العتاب في حوارتنا إلى درجة أن العتاب قد استحال لونا من ألوان العذاب ، وتدهور الأمر في الكثير من الأحيان فانقلب مأساة جديدة

٥- الثناء على السائل في مقدمة الجواب عن سؤاله ، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لسائله : إنك لحريص ، وما ظننت أن يسألني عن هذا أحد غيرك .

٦- الاقتصار على المطلوب ، وإن كان لابد من زيادة فلتكن بقدر الضرورة المرجوة منها

٧- اصطفاء الكلمة المناسبة للمقام ، فإن لكل مقام مقالا ، وفرق كبير بين أن تخاطب أباك وأمك وأن تخاطب زميلك .

٨- عدم رفع الصوت ، فإنه ليس من الإسلام وقد عرفنا أن أنكر الأصوات لصوت الحمير ، أن نرفع أصوتنا في غير ضرورة .

٩- إظهار التواضع لمن تخاطبه ، فلا تتحدث بغرور ولا بما لم تحققه ، فتتهم صوابه وهو خطأ .

١٠- إعطاء الفرصة لمن يريد أن يبين حواراه ، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأل أصحابه فيقولون : الله ورسوله أعلم ، فمن قال لك : أتدرى ما كذا فقل له : تفضل ، واترك له المجال ليبين .

١١- ولا تقاطع من يخاطبك ، فتحبس كلماته في جوفه فيغضب ، وينسى الصواب .

١٢- وأظهر لمخاطبك الاهتمام بكلامه .

١٣- وإذا كنا نعلم أن الخطاب باللسان فلا يحسن أن نضم إليه حركات العين والأنف والفم مما يشعر الناس بالسخرية .

١٤- وأن نحسن الفهم قبل أن نجيب ، فإن من آفات التسرع في الخطاب أن يلتقى الإنسان بكلمات بنيت على سوء فهم منه ، ومن قديم قال الناس "أساء فهما فساء جابة" ، أى أساء فهما فأساء في إجابته .

١٥- ومن الغائب عن حواراتنا أن نستأذن من يحاورنا ، بنحو : أتأذن لي أن أبين ذلك ، ومن فضلك هل تسمح لي بكلمة ، ونحو ذلك ؛ إننا نعانى مآسى في الحوار لا تدل على أننا أصحاب نفوس زكية ، ومن أهم معالم تلك المآسى :

١- عزوف بعضنا عن الحوار أصلا

٢- سخرية بعضنا من بعض

٣- تصيد بعضنا أخطاء بعض

٤- اتهام بعضنا بعضا بالجهل لأدنى غلط ، والغلط كما قال ابن عبد البر لا يسلم منه بشر .

٥- أننا نتحاور بالأيدى والأعين وأحيانا بأشياء أخرى لا باللسان .

٦- أن بعضنا يقاطع بعضا

٧- أننا نخرج عن موضوع الحوار إلى ما لا صلة له به .

- ٨- أن بعضنا يعلن لبعض أنه مخطيء من حيث الأصل إذ حاورنا .
٩- أننا لا ننتهي آخر الأمر إلى نتيجة ، والهدف من الحوار أن نخلص إلى نتيجة

هذا وإنى لأرجو أن يخرج من يطلع على هذا العمل بنتيجة ، والله أسأل أن يجعله عملاً صالحاً مقبلاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم . على خير من عاش الحياة ، وهو أنركى نفس بالله اعتصمت ، وفي الله أحبت ، ومن أجله غضبت ، والله أسأل أن يجمعنا به في جنات ونعيم .

أ. د. / مبروك عطيه

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول: القرآن الكريم وتزكية النفوس
٦	منهج القرآن الكريم في تزكية النفوس
٦	الإسناد
٦	المؤمنون هم الناس
٨	مكانة من تزكى
	ما كان من العين فمن الله والرحمة
١٠	وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان
١٣	اختراعات من لابس زى المشايخ
١٦	قصص من تزكى
٢٠	دروس من قصص يوسف عليه السلام
٢٤	من قصة إبراهيم عليه السلام
٢٦	ومن دروس قصة أيوب
٢٨	من قصة مريم
٢٩	من قصة لوط عليه السلام
٢٩	الأمر بما يتصل بتزكية النفوس
٧٩	النهي المتصل بتزكية النفوس
١٢٩	الفصل الثانى: الصيد فى الغضب
١٣٨	إطفاء نار الغضب

الموضوع	الصفحة
تزكية النفوس بالعلم	١٤٠
من صام ومن لم يصم لعذر	١٤٠
هجر كقتل	١٤١
مناولة المسكين تقى ميتة سوء	١٤٢
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	١٤٣
تزكية النفوس بالإتفاق	١٤٣
معادلة رياضية	١٤٧
أول مذكور من الأعمال	١٤٨
لن تنالوا البر حتى تنفقوا	١٤٩
أول صفات المتقين	١٤٩
اقتحام العقبة	١٥٠
من النعم التي لا تعد	١٥٠
الإتفاق أول مغبوط عليه	١٥٢
خير ما فى الإسلام	١٥٢
ما أنفقت باق وما أكلت هالك	١٥٣
تزكية النفوس بالبعد عن الشك	١٥٨
الصدقة بيضت وجه النبى صلى الله عليه وسلم	١٥٩
التزكية بالمعادلة	١٦٠
الواجب مقدم على التطوع والدين ليس تعذيباً	١٦١
لا كذب حتى مع الأطفال	١٦٢
كثيرة العبادة مؤذية لجيرانها	١٦٣

الموضوع	الصفحة
قل واعمل شكراً	١٦٤
احفظ السر	١٦٤
تزكية النفوس بتذوق الحسنات والسيئات	١٦٨
البركة لزكى النفس	١٦٩
دع داعى اللب	١٦٩
من ولى حره وعلاجه	١٧١
سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك	١٧٣
صدقة الزرع	١٧٧
صلاة الجماعة أزكى	١٧٩
طائف من الشيطان	١٨١
التزكية من أجل قررة الأعين	١٨٣
التربية على النظام	١٨٥
الحياء	١٨٧
تزكية الطعام بذكر اسم الله عليه	١٩١
أنت إنسان لا شيطان	١٩٣
الفصل الثالث: تزكية النفوس بين الطاعات والمعاصي	١٩٥
لا تحقرن من المعروف شيئاً	١٩٦
المحتوى	٢٢١